

المملكة العربية السعودية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
عمادة التعليم عن بعد
كلية الشريعة ـ الانتساب المطور

(ثقف ٢٠١)

مقرر الإستشراق والتنصير

المستوى الثالث

أستاذ المادة:

د . ناصر إبراهيم التويم

(المذكرات تم تفريغها سماعاً من المحاضرات الصوتية)
إعداد طلاب وطالبات كلية الشريعة
انتساب مطور

نسخة مدققة و مزيدة

١٤٣٣هـ

(كتب الله أجر كل من عمل على إعدادها وجعلها له صدقة جارية)

﴿ تـقـديـم ﴾

هذه هي الطبعة النهائية لمذكرات كلية الشريعة انتساب مطور تعليم عن بعد

وقد اعتمدت بتوفيق من الله بعد أن تم تدقيقها أكثر من مرة

من قبل طلاب وطالبات كلية الشريعة انتساب مطور

واخترنا أفضلها تدقيقاً وتم تلوينها وتنسيقها لتكون هي الطبعة النهائية

ولأنها جهد بشري لا يخلو من الخطأ ولا يصل للكمال

فنرجو عند وجود خطأ أو ملاحظة

كتابة تنبيه في الموضوع المخصص لذلك في منتدى المستوى الخاص بالمذكرة

في منتدى مكتبة كلية الشريعة: www.imam8.com

وسوف يتم تصحيح الأخطاء بعد التنبيه عليها من قبل القائمين على إعداد المذكرات

ونسأل الله جزيل الثواب لكل من يعين على ذلك ويشاركنا فيه

(مجموعة إعداد مذكرات كلية الشريعة انتساب مطور)

مفردات المقرر:

أولا: الإستشراق:

-1تحديد المصطلح : الإستشراق –المستشرق

-2-نشأته ومراحل تطوره

-3-دينية،دوافعه، والعلاقة بينهما.(دينية ،استعمارية ، سياسية ،علمية،،،،الخ)

-4-ركائز أو مجالاته:استشراقية (العقيدة ،الفكر ،المنهج)

-5-وسائلة ومجالاته : (تعليمية ،فكرية ،إعلامية ،علمية ،ترجمة)

-6-المدارس الإستشراقية

-7-نماذج من آراء المستشرقين حول الإسلام ومناقشتها:

أ- في القرآن الكريم

ب- في السنة والسيرة النبوية

ت- في التشريع الإسلامي

ث -في اللغة العربية

ج- في التاريخ الإسلامي

-8-مستقبل الإستشراق

-9-تقويم الحركة الإستشراقية :(إيجابياتها ، سلبياتها)

-10-وسائل مواجهة الإستشراق وأساليبه

ثانيا: التنصير (التبشير)

-1تحديد المفهوم :علما وحركة.

-2نشأته وتطوره (صلته بالحروب الصليبية)

-3أهدافه ودوافعه (صلته بالاستعمار)

-4وسائله وأساليبه (الدعوة ا(العقدية،نصرانية ،التعليم ،الطب ، الأعمال الاجتماعية ، الإعلام والنشر ،السياسة المؤتمرات والحوار ، إثارة الفتن والعصبيات ،حماية القليات والمؤسسات التنصيرية ،تبني بعض الطوائف المنحرفة في المجتمع الإسلامي)

-5آثاره على العالم الإسلامي (العقدية ،الثقافية ،الخلقية ، الاجتماعية والسياسية)

-6نماذج من المنظمات التنصيرية ومن أشهر المنصرين

-7مواجهة التنصير:

أ- وسائل المواجهة ب- المنظمات الإسلامية التي تقوم بذلك

الحلقة (١)

المحتوى:

١. **عناصر القسم الأول (الإستشراق):**

١. تعريف الإستشراق.
٢. تحديد مصطلح الإستشراق والمستشرق.
٣. نشأته.
٤. مراحله.
٥. أهدافه ودوافعه والعلاقة بينهما.
٦. وسائله ومجالاته.
٧. نماذج من آراء المستشرقين.
٨. مستقبل الإستشراق.
٩. تقويم الحركة الإستشراقية ؛ إيجابياتها وسلبياتها.
١٠. وسائل مواجهة الإستشراق.

٢. **عناصر القسم الثاني (التنصير):**

١. تحديد مفهومه.
٢. نشأته وتطوره.
٣. أهدافه ودوافعه.
٤. وسائله وأساليبه.
٥. آثاره على العالم الإسلامي.
٦. وسائل المواجهة.

- **المراجع:**

١. المستشرقون والمبشرون في العالم الإسلامي، (إبراهيم خليل أحمد).
٢. فلسفة الإستشراق، (أحمد سيمايلوفتش).
٣. حقيقة التبشير بين الحاضر والماضي، (أحمد عبد الوهاب).
٤. التبشير والاستعمار، (مصطفى خالدي وعمر فروخ).
٥. التبشير والإستشراق، (محمد عزت إسماعيل الطهطاوي).
٦. التبشير والإستشراق والدعوات الهدامة، (أنور الجندي).
٧. التبشير الصليبي الوسائل والأهداف؛ رؤية إسلامية للإستشراق (أحمد غراب)
٨. الإستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (د. محمود حمدي زقزوق)
٩. الإستشراق بين الموضوعية والافتعالية، (د. قاسم السامرائي).
١٠. الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي.

١١. الغارة على العالم الإسلامي (شاتليه، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافي)
١٢. ملامح عن النشاط التنصيري في الوطن العربي، (إبراهيم عكاشة علي).

- **القسم الأول: الإستشراق**

أولا: تعريفه (الإستشراق لغة) :

١ - **تعريف الاستشراق في اللغة العربية:** إن كلمة "الاستشراق" كلمة مولدة وعصرية، ومأخوذة من الفعل (استشرق)، ومن كلمة (شرق)، وقد عرّف صاحب "معجم متن اللغة" كلمتي الاستشراق والمستشرقين بقوله: **الاستشراق طلب علوم الشرق ولغاتهم**، ويسمى من يقوم بذلك "مستشرق"، وجمعه مستشرقون، وما ينجزونه يسمى "استشراقا".

٢ - **تعريف الاستشراق في اللغة الإنجليزية:** يعرف الاستشراق في اللغة الإنجليزية بـ "أوريانتاليزم " (Orientalism)، كما يعرف المستشرق بـ "أوريانتاليست" (Orientalist)، وكلمة الاستشراق وكلمة المستشرق في اللغة الإنجليزية مأخوذة من كلمة "**أوريانت**" (**Orient**) **التي هي بمعنى الشرق، فحقيقة مصطلح كلمة الاستشراق أنها ترجمة لكلمة** "**أوريانتليزم**" (**Orientalism**) التي أدرجت في "قاموس الأكاديمية الفرنسية" في القرن التاسع عشر، بالتحديد عام (١٨٣٨)، أي أن هذا المصطلح خرج قبل القرن التاسع عشر! وبرز وتحدث عنه عدد من الغربيين، لكنه أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية في القرن التاسع عشر ميلادي.

- **(الاستشراق اصطلاحا):**
- ذكر عدد من الكتاب والباحثين مجموعة من التعريفات ومنها:

١. **التعريف الأول:** (ويوصف بأنه التعريف العام للاستشراق)

عُرّف الاستشراق بأنه "**أسلوب فكري غربي، يرتكز ويقوم على أن هناك فوارق جوهرية فيما يتعلق بقضيتي الوجود والمعرفة بين الغرب والشرق، وأن الغرب يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الشرق**".

- **دعونا نقف وقفه تأملية عند هذا التعريف:**

نمط فكري غربي يرتكز على أن هناك فوارق جذرية جوهرية بين الغرب والشرق فيما يتعلق بقضيتي الوجود والمعرفة (أي أن الغرب ينظر إلى **المعرفة** نظرة مغايرة للشرق، كما أن الغرب ينظر إلى **الكون** نظرة مغايرة للشرق) فمثلا **قضية المعرفة في الغرب** الآن المعرفة التي تُقبل هي المعرفة التي تخضع للتجربة، تخضع للحس، تخضع للبرهان فلاشك أنه يختلف عن الشرق.

- **سمات ومزايا هذا التعريف:**
- من مزايا هذا التعريف بروز ظهور النزعة العنصرية الموجودة في الاستشراق.
- أيضاً النظرة الفوقية، عندما ذكر في التعريف: بأن الغرب يتميز بالتفوق العنصري والثقافي، فيقصد بقوله "**التفوق العنصري**" أي من ناحية الجنس البشري، ويقصد بقوله "**الثقافي**" أي من ناحية الثقافة، فينظرون أن الثقافة الغربية هي الثقافة السائدة والتي يجب أن تسود ويجب أن تعلو وترتفع.

٢. **التعريف الثاني:** (ويوصف بأنه التعريف الخاص بالاستشراق):

عرف الاستشراق بأنه "**دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون من الدول الاستعمارية للشرق بشتى جوانبه؛ تاريخه وثقافته وأديانه ولغاته ونظمه الاجتماعية والسياسية، من منطلق التفوق العنصري والثقافي على الشرق وبهدف السيطرة عليه وتبرير هذه السيطرة بدراسات وبحوث ونظريات تتظاهر بالعلمية والموضوعية**".

- **مقارنه بين التعريف الأول والثاني**: **إن التعريف الثاني أخص من التعريف الأول** ومن أجل ذلك وصف بأنه "**التعريف الخاص**"، أيضا من الجوانب الإيجابية **أنه أكثر تفصيلا من التعريف الأول**، وأيضا **لو نظرنا إليه لوجدنا قضية النظرة الفوقية موجودة في هذا التعريف.**

٣. التعريف الثالث: وهو مجموعة من التعريفات التي ذكرها "(**إدوارد سعيد:Edward Said**) في كتابه الاستشراق "أوريانتليزم: Orientalism" وهو من الكتب الجيدة التي انتقدت الحركة الاستشراقية من الداخل، ومن ضمن تلك التعاريف التي ذكرها:-

- إن الاستشراق: "**أسلوب في الفكر قائم على تمييز بين الشرق -في معظم الأحيان- والغرب**"

- وفي موضع آخر يعرف "إدوارد سعيد" الاستشراق بأنه: "**المجال المعرفي أو العلم الذي يتوصل به إلى الشرق بصورة منظمة؛ كموضوع للتعلم والاكتشاف والتطبيق**".

- وفي موضع آخر يعرف الاستشراق بأنه: "**أسلوب غربي للهيمنة على الشرق، وإعادة صياغته وتشكيله، وممارسة السلطة عليه**".

- **سمات ومزايا هذا التعريف**: -

١-أنها شهادة من رجل محسوب على الحركة الاستشراقية، فعرّف الاستشراق بأنه أسلوب طريقة نمط غربي للهيمنة والسيطرة على الشرق، كما أنه له وزن في الحركة باعتبار أنه كان من المشهورين والبارزين وكان يدرس في إحدى الجامعات في الغرب.

٢- قصر تعاريفه ولا سيما التعريف الأخير.

٣- إظهار النزعة العنصرية والنزعة الفوقية في الاستشراق، فالاستشراق يسعى للهيمنة باعتبار أنه ينظر إلى الشرق نظرة فوقية، ويحاول أن يعيد صياغة الشرق وتشكيله، ولا سيما في المجال الفكري، ولا سيما في المجال الثقافي.

٤. التعريف الرابع: وهو للمستشرق الألماني البارز "رودي بارت Rudi Part" الذي عرف الاستشراق بأنه: **علم الشرق، أو علم العالم الشرقي.**

- لو نظرنا إلى مجمل التعريفات لوجدنا عدد من الغربيين الآن يحاولون الابتعاد عن هذا المصطلح، ويرغب في أن يقال "**مختص في الدراسات الشرقية**".-----------------------------------

ثانيا: تعريف مصطلح المستشرق:

- لعل المستشرق الإنجليزي ("**إربري**: **ARBERRY**"): يرى أن تعريف المستشرق المذكور في قاموس أكسفورد (Oxford Dictionary) بأنه التعريف المناسب، الذي **يعرّف المستشرق بأنه: من تبحر في لغات الشرق وآدابه.**
- هذه مجموعة من التعريفات فيما يتعلق بمصطلح **الاستشراق** أو يتعلق بمصطلح **المستشرق.**

ولعلي ذكرت في هذه المحاضرة الأولى بأن مصطلح الاستشراق ومصطلح المستشرق أصبحت من المصطلحات التي ينفر منها بعض الكتاب بعض الغربيين الآن؛ وذلك نتيجة لما يحمله هذا المصطلح من أبعاد وخلفيات، **ولذلك يرغبون** أن يقال "مختص بالدراسات الشرقية" أو "متخصص في الدراسات الشرقية".

- **هناك مجموعة من الكتّاب والباحثين الذين يرون عدم حصر الاستشراق في الدول الغربية، ولكن هذا الأمر يظهر لي أنه برز أخيرا**، ويقولون بأن من يكتب حتى ولو كان من الشرق بنفس الطريقة التي يكتب بها المستشرق الغربي فيعد مستشرقاً، ولكنهم انطلقوا من المستشرق الغربي وجعلوه هو الأساس الذي يقاس عليه، وهذا توجه مجموعة من الكتّاب

ومجموعة من الباحثين الذين يرون عدم حصر الاستشراق في الدول الغربية، وإن كنا نلاحظ من خلال التعريفات التي ذكرنا ربط مصطلح الاستشراق بالغرب سواء كان بالتعريف الأول عندما قلنا بأنه أسلوب فكري غربي يرتكز على أن هناك فوارق جذرية وجوهرية بين الغرب والشرق فيما يتعلق بقضيتي الوجود والمعرفة، وأن الغرب يتميز بالتفوق العنصري والثقافي على الشرق، أو فيما ذكرنا أيضا فيما يتعلق بالتعريف الثاني الخاص: عندما قلنا بأنه دراسات أكاديمية يقوم بها الغربيون أو فيما يتعلق بتعريف (إدوارد سعيد) أو فيما يتعلق بتعريف (رودي بارت)، فنلحظ نرى أن مجموعة كبيرة من الباحثين يربطون الاستشراق بالدول الغربية وهذا هو السر في مصطلح "**أوريانت (Orient)" الذي يعني الشرق**، وباعتبار أنه يقابل الغرب، أو كلمة "استشراق" التي مأخوذ من كلمة "شرق"، فلا شك أن هناك ارتباط بين الاستشراق وبين الدول الغربية، وإن كنا نلحظ -نتيجة لتوسع مفهوم الاستشراق ونتيجة أيضا لوجود عدد من الكتَّاب قد يكونون من خارج الدول الغربية- نرى بأن المصطلح توسع وأصبح بعض الكتَّاب وبعض الباحثين يرون أنه من الممكن إدخال في المصطلح كل شخص يكتب بنفس الطريقة التي يكتب بها المستشرق الغربي فيعد مستشرقاً.

فلاشك أن هذا نتيجة للتطور في مفهوم الاستشراق وأيضا نتيجة لما أشرنا إليه بأنه وجد أناس لهم اهتمام بعلوم الشرق وقد يكونون ليسوا من الدول الغربية، فقد يكونون من الدول الشرقية أو حتى من أي قارة من القارات التي توجد وتعتبر من الشرق، سواء كان من قارة آسيا أومن قارة أفريقيا.

ولكن الضابط الذي وضعه عدد من الكتَّاب والباحثين؛ الضابط المهم هي ما يتعلق بقضية أن المستشرق أو أن الشخص الذي من خارج البلاد الغربية يكتب بنفس الطريقة التي يكتب بها المستشرق الغربي، فإذا كتب بنفس الطريقة التي كتب بها المستشرق الغربي فلا شك أنه يسمى **مستشرقاً** والعمل الذي يقوم به يوصف بأنه عمل **استشراقي**.

هذه أبرز النقاط المتعلقة في موضوعنا في الحلقة الأولى فيما يتعلق بتعاريف الاستشراق وكيف خرج المصطلح ومتى أدرج وكذلك أبعاد وخلفيات مصطلح الاستشراق.

- كيفية خروج مصطلح الاستشراق:

- لاشك كما أشرت سابقا أن مصطلح الاستشراق لم يكن معروفا في السابق كما أشرنا أنه حتى في اللغة العربية كانت كلمة مولدة، كلمة عصرية، ولذلك يقال بأن هناك أحرف في كلمة الاستشراق أحرف زائدة وأحرف أصلية، لاحظ الأصلية كلمة "**شرق**" وما عداها فهي أحرف زائدة، وهي كلمة كما ذكرنا ترجمة لمصطلح أجنبي.
- **زمن ظهور هذا المصطلح**: حتى المصطلح باللغة الانجليزية كما ذكرنا برز كما يرى بعض الكتَّاب في **القرن السابع عشر**، وبعض الكتَّاب يرى أنه برز **في القرن الثامن عشر** كمصطلح، لكنه أدرج في قاموس الأكاديمية الفرنسية في **القرن التاسع عشر للميلاد**.

وفي الغالب أن المصطلحات تبرز، وتظهر وتتداول، ثم بعد ذلك تدخل وتُقَر في المعاجم، لأن إقرارها في المعاجم يأتي في مرتبة لاحقة بعد بروز المصطلح وتداول المصطلح وانتشاره للناس.

- **خلفياته وأبعاده**: لكن الجانب المهم الذي أشرت إليه أن الآن حاليا في الغرب أن المصطلح لما يحمله من أبعاد ومن مفاهيم ودلالات أن الغرب لا يرغب في استخدام مصطلح الاستشراق أو مصطلح المستشرق، ويفضلون بديلا له "متخصص في الدراسات الشرقية" أو "مهتم بالدراسات الشرقية" والعمل الذي يقوم به هو اهتمام بالدراسات الشرقية أو اهتمام بالشرق، ولعله نتيجة لنقد مصطلح الاستشراق ولاسيما من قِبل بعض الكتَّاب الغربيين، ولعلنا ذكرنا من أبرزهم

"إدوارد سعيد" الذي نقد الحركة الاستشراقية في كتابه "الاستشراق أوريانتلزيم" والذي ترجم إلى اللغة العربية فهو يعد من المنتقدين للحركة الاستشراقية من الداخل باعتبار أنه محسوب على الحركة الاستشراقية ويدخل في ضمن إطار الحركة الاستشراقية من حيث التعريف.

- هذه أبرز النقاط الرئيسة والأساسية في تعاريف مصطلح الاستشراق ولعلنا نلخصها: المصطلح من الناحية اللغوية، ثم ذكرنا مجموعة من التعريفات فيما يتعلق بالمعنى الاصطلاحي، وذكرنا مزايا كل تعريف، وأشرنا إلى مجموعة من التعريفات لعدد من المستشرقين الغربيين والمعروفين على الساحة الاستشراقية، لعلنا نواصل إن شاء الله الحديث حول نقطة أخرى وموضوع آخر في الحلقة القادمة، فتكون الحلقة الأولى فيما يتعلق بمصطلح الاستشراق وكذلك مصطلح المستشرق وما يحمله هذا المصطلح من دلالات ومفاهيم وكيف برز المصطلح وكيف أدخل المعاجم والقواميس.

الحلقة (٢)

- **نشأة وتاريخ الاستشراق**:

لا يُعرف بالضبط من هو أول غربي عُنِي بالدراسات الشرقية، وتعددت آراء المؤرخين حول تاريخ الاستشراق كالتالي:

الرأي الأول: يرى بعض المؤرخين أن الاستشراق بدأ بذهاب بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس في إبَّان عظمتها ومجدها وكان ذلك في القرن **الحادي عشر الميلادي**، حيث قام هؤلاء العلماء النصارى بالتتلمذ على أيدي علماء المسلمين في جميع العلوم وبخاصة الطب والفلسفة.

ومن أوائل هؤلاء الرهبان:

١. الراهب الفرنسي (**جربرت Gerbert**) الذي انتخب باباً لكنيسة روما وذلك في عام (٣٩٠ هجري الموافق ٩٩٩ للميلاد) في القرن **العاشر**.

٢. كذلك (**بطرس: Boutros**).

٣. (**جيراردي كريمون:GERARDDE CREMONE**) .

- وبعد أن عاد هؤلاء الرهبان إلى بلادهم نشروا علوم المسلمين، واستمرت الجامعات الغربية تعتمد على كتب العرب والمسلمين قرابة ستة قرون.
- فالرأي الأول من آراء المؤرخين يرون أن الاستشراق بدأ في القرن الحادي عشر الميلادي منذ ذهاب الرهبان الغربيين إلى الأندلس، فيرى بعض المؤرخين أن البداية منذ وصول هؤلاء الرهبان إلى الأندلس.
- **ولنا وقفات حول هذا الرأي**:

١. الوقفة الأولى تتعلق بالذهاب إلى "الأندلس" والدراسة فيها: نحن نعلم بأن المسلمين في تلك الفترة كانوا رواداً في العلوم عامة وبخاصة في الطب، فكانت أوربا في تلك الفترة بحاجة إلى نقل العلوم والمعارف -ولاسيما المناهج العلمية- إلى أوروبا التي كانت تعيش في عصور الظلام والتخلف والانحطاط.

- الأندلس كانت أقرب البلاد إلى أوروبا في تلك الفترة، فكانت البلاد المجاورة، فكانوا بحاجة إلى الذهاب إلى البلاد القريبة منهم للتعلم ونقل العلوم والمعارف الإسلامية والمناهج العلمية، ويؤكد عدد كبير من الغربيين أن الغرب استفادوا كثيراً من العلوم والمعارف التي نُقلت من البلاد الإسلامية، وبخاصة الأندلس في تلك الفترة.
- **ولعلنا نشير إلى نقطة مهمة**: وهو أن هؤلاء الرهبان كانوا بحاجة إلى تعلم اللغة العربية باعتبار أنها الوسيلة والأداة

لمعرفة العلوم ونقل المعارف إلى الغرب.

٢. الوقفة الثانية: أشرنا إلى "**جربرت**" وأنه انتخب رئيسا لكنيسة روما، كنيسة روما المقصود بها الكنيسة "**الكاثوليكية**"، ونحن نعلم بأن هناك كنائس متعددة في الغرب **الكاثوليك** ومركزها الرئيس روما، والبابا يعتبر أعلى سلطة دينية، وكذلك الكنيسة **البروستانتية** وخرجت فيما بعد، وكذلك الكنيسة **الأرثوذكسية**، هنا الحديث عن الكنيسة الكاثوليكية، **فجربرت** انتخب رئيسا أو باباً للكنيسة "الكاثوليكية".

٣. الوقفة الثالثة: فيما يتعلق في اعتماد الغرب على العلوم الإسلامية والعربية قرابة الستة قرون، فهؤلاء الرهبان نشروا علوم المسلمين ونقلوها إلى الغرب ونقلوها إلى الجامعات الغربية، واعتمدت أوروبا قرابة ستة قرون؛ وذلك من القرن **العاشر الميلادي** إلى القرن **السادس عشر الميلادي** أي إلى أن ظهر ما يعرف في الغرب بعصر النهضة في القرن السادس عشر الميلادي في تلك الفترة كانت أوروبا بحاجة ماسة إلى العلوم والمعارف الإسلامية، لذلك اعتمدت الجامعات الغربية اعتمادا كبيرا على العلوم والمعارف التي نقلت إليهم من الأندلس، وأفادت من هذه العلوم والمعارف إلى أن نقلت أوروبا من عصور التخلف والظلام إلى ما يسمى بعصر التنوير أو عصر النهضة.

الرأي الثاني: يرى فريق آخر أن الاستشراق بدأ في القرن **الثاني عشر الميلادي**، لما نقول القرن الثاني عشر يقابله القرن السادس الهجري، لأن الفرق بين التاريخ الهجري والميلادي قرابة ستة قرون، فيرى فريق آخر أن الاستشراق بدأ في القرن **الثاني عشر الميلادي** وبالتحديد في عام (**٥٢٨ للهجرة الموافق للعام ١١٣٤للميلاد) تمت ترجمة معاني القرآن الكريم لأول مرة إلى اللغة اللاتينية** على يد "(**روبرت أوف كيتون Robert of Ketton**)" وبمعاونة من "**فرمان أوف دالماتيا**".

- **وقفات حول هذا الرأي**:

١. الوقفة الأولى: يرى بعض المؤرخين أن الاستشراق لم يبدأ من ذهاب بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس، وإنما بعد القيام بعمل علمي متميز -من وجهة نظرهم هم- يتمثل في نقل وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية.

- لعلنا نشير إلى أهداف الترجمة -وإن كنا نتحدث عن جانب تاريخي- لكن نرى أن هذا من الأهمية أن نشير إلى أهداف الترجمة، **لماذا قاموا بترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية؟**

١. الهدف الأول: تجميع قاعدة فكرية لمواجهة الإسلام؛ لأنه اتضح لرجال الدين النصراني أنهم لا يستطيعون مواجهة الإسلام إلا بالحجج العقلية التي تقتضي معرفة آراء الخصم، ومن هنا كان لابد من ترجمة معاني القرآن الكريم، بلا شك إذا أرادوا تشكيل قاعدة –للمعلومات- فكرية لمواجهة الإسلام لاشك أن أهم أمر يبدأ به: القرآن الكريم، لذلك حرصوا على تشكيل وتجميع قاعدة لمواجهة الإسلام، نقطة البداية كانت ترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية.

٢. الهدف الثاني: تنفير النصارى من الإسلام، فمن خلال الترجمة من خلال التشويه من خلال الطرح يسعون إلى إبعاد النصارى عن قبول الإسلام.

٣. الهدف الثالث: تشويه القرآن الكريم أولا، ثم محاولة الرد عليه ثانيا، وادعاء أنه مستمد من الديانة اليهودية، فلا شك أن أهدافهم إثارة الشبهات والشكوك حول القرآن الكريم والمزاعم حوله.

- ولو نظرنا إلى الأهداف لوجدنا أن الأول والثاني ترتبط بجانب دفاعي عن النصرانية أو عن النصارى، لأن **الأول** تشكيل قاعدة المعلومات بحيث أنهم يستطيعون الانطلاقة منها، الهدف **الثاني** التنفير فنجد أنها الهدف **الأول والثاني** مرتبطة بالديانة النصرانية أو مرتبطة بالنصارى، أما الهدف **الثالث** فهو ليس كذلك إنما السعي لتشويه القرآن الكريم وإثارة

الشبهات حوله.

الرأي الثالث: هناك فريق يرى أن الاستشراق بدأ في القرن **الثالث عشر الميلادي**، حيث أمر "**الفونس العاشر**" ملك قشتالة الملقب بالحكيم، الفترة التي عاش فيها من عام (١٢٥٢م) إلى (١٢٨٤م)، **فيرون أن البداية بعد أمر "الفونس العاشر" بإنشاء معهد للدراسات العليا وذلك عام (١٢٦٩م)**، واختار لهذا المعهد بعض المفكرين من المسلمين والنصارى واليهود، فترجموا إلى الإسبانية، المسلمين قاموا بترجمة **معاني القرآن الكريم** إلى الأسبانية، والنصارى قاموا بترجمة "**الإنجيل**" إلى الأسبانية، واليهود قاموا بترجمة "**التلمود**" إلى الأسبانية.

- فالرأي الثالث يرى أن الاستشراق بدأ في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث أمر الفونس العاشر بإنشاء معهد للدراسات العليا، وكان من اهتمامات هذا المعهد ترجمة ونقل معاني القرآن الكريم ليس إلى اللاتينية إنما إلى اللغة الأسبانية، نحن نعلم أن اللاتينية هي لغة مشتركة لعدد كثير من الدول الأوروبية، ولا تزال إلى الآن لغة المصطلحات العلمية واللغة العلمية في بعض المناهج والعلوم والمعارف مثل الفلسفة وغيرها من العلوم والمعارف، فاللغة اللاتينية هي تعتبر منها اشتقت اللغات الأوروبية، فالرأي الثالث يرى أن الاستشراق بدأ منذ إنشاء معهد للدراسات العليا متخصص، من المهام التي قام بها هذا المعهد ترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللغة الاسبانية.

الرأي الرابع: هناك من يؤرخ الاستشراق بالقرن **الرابع عشر الميلادي**، أي القرن **الثامن الهجري**، وذلك اعتبارا **من مؤتمر "فينا" الكنسي، الذي انعقد عام (١٣١٢م)**، ففي هذا المؤتمر **قُرر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية**، هذه البداية تسمى **بالبداية الرسمية للاستشراق**، أو بعبارة أخرى تسمى **بداية الاستشراق الرسمية**.

- ***نقطة مهمة**: لماذا سمي بالاستشراق الرسمي؟*

وُصف بالاستشراق الرسمي؛ لأن القرار اتخذ في مؤتمر فيينا الكنسي، هذا المؤتمر يمثل عدداً كبيراً من الكنائس الموجودة في الغرب، فله الصفة الرسمية باعتبار أن الكنائس ممثلة فيه، واتُخذ قرار بإنشاء -من قبل مؤتمر فينا الكنسي- اتخذ قرار بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية ولذلك المؤرخين يرون بأن هذه هي **البداية الرسمية** عام ١٣١٢ في القرن الرابع عشر.

- **وقفات حول آراء المؤرخين بشكل عام**: لو نظرنا إلى الرأي الأول والثاني والثالث لوجدنا أنها مبادرات فردية؛ **فالرأي الأول** ذهاب بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس كما ذكرنا من أمثال (**جربرت وبطرس وجيراردي كريمون**).

لو نظرنا إلى **الرأي الثاني** أيضا القيام بترجمة معاني ألفاظ القرآن الكريم إلى اللاتينية على يد "**كيتون**" و"**دالماتيا**"، تشير المعلومات إلى أن الترجمة أخذت منهم قرابة العامين وأن الذي حث على الترجمة هو "**بطرس**"، فرغب في ترجمة معاني القرآن الكريم، فحث **روبرت أوف كيتون وفرمان أوف دالماتيا** على نقل وترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية.

لو نظرنا إلى **الرأي الثالث**: لوجدنا أنه جهد فردي، ملك قشتالة قام بإنشاء معهد للدراسات العليا في مارسيليا، **فالرأي الأول والثاني والثالث يأخذ الطابع الفردي**.

بينما **الرأي الرابع يأخذ طابع القرار من الممثلين للكنيسة** ولذلك قلنا بأنه البداية الرسمية للاستشراق، **وأنا أميل إلى أن البداية الرسمية للاستشراق كانت في القرن الرابع عشر الميلادي**، لكن من المؤكد أن قبل البداية الرسمية كانت هناك بدايات للاستشراق قبل البداية الرسمية التي كانت في القرن الرابع عشر الميلادي.

- **لعلنا في نهاية هذه الحلقة نلخص الآراء حول تاريخ الاستشراق.**

- كما أشرت وذكرت سابقا إلى أن هناك آراءً متعددة للمؤرخين حول بداية الحركة الاستشراقية، من المؤكد أننا لا نعرف من هو أول غربي عني بالدراسات الشرقية، لم تذكر الكتابات التاريخية شخصية معينة نستطيع أن نقول أن منها بدأ الاهتمام بالدراسات الشرقية، لكن المؤرخين اختلفوا؛ فبعض المؤرخين يرى أن البداية للإستشراق كانت في القرن الحادي عشر الميلادي بوصول الرهبان الغربيين علماء النصارى إلى الأندلس للتعلم ونقل العلوم والمعارف إلى البلاد الأوروبية، واستطاعوا نقل العلوم والمعارف إلى البلاد الأوروبية والى الجامعات الغربية بالتحديد، واعتمدت الجامعات الغربية على كتب المسلمين والعرب قرابة ستة قرون، **فالرأي الأول** من آراء المؤرخين أن البداية كانت بذهاب بعض الرهبان الغربيين إلى الأندلس.
- تحدثنا وأشرنا إلى أهمية الأندلس في تلك الفترة، وأنها كانت مصدراً للعلوم والمعارف، وأن أوروبا كانت بحاجة إليها، وأنها أقرب إلى أوروبا من الناحية الجغرافية وحاجة الأوروبيين إلى تعلم اللغة العربية، لأن اللغة تقوى بالعلوم والمعارف التي تحملها، فنجد أنه في السابق كان الناس بحاجة إلى تعلم اللغة العربية، مع الأسف الآن أصبح العكس فالعرب والمسلمون هم الذين يذهبون ويتعلمون اللغات الأجنبية لنقل العلوم والمعارف إلى بلادهم.
- تحدثنا عن **جربرت**، وتحدثنا عن اعتماد الغرب على العلوم والمعارف الإسلامية وبالتحديد الجامعات الغربية.
- أشرنا إلى **الرأي الثاني** من آراء المؤرخين حول بداية الاستشراق، وذكرنا بأنه القرن الثاني عشر الميلادي، وبالتحديد منذ ترجمة معاني القرآن الكريم على يد "**كيتون**" و"**دالماتيا**" في القرن السادس الهجري الثاني عشر الميلادي بالتحديد عام (٥٢٨هجري) الموافق (١١٣٤م).
- ثم تحدثنا عن أهداف الترجمة، وأشرنا إلى ثلاثة أهداف رئيسة فيما يتعلق بترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية.
- **الرأي الثالث** من آراء المؤرخين ذكرنا بأن بعض المؤرخين يرى أن الاستشراق بدأ في القرن الثالث عشر الميلادي، حيث أمر الفونس العاشر بإنشاء معهد الدراسات العليا هناك، واختار عدداً من المفكرين من المسلمين واليهود والنصارى، المسلمين نقلوا معاني القرآن الكريم إلى الأسبانية، والنصارى ترجموا الإنجيل، واليهود ترجموا التلمود إلى الأسبانية.
- **الرأي الربع والأخير**: أن الاستشراق بدأ في القرن الرابع عشر الميلادي اعتبارا من مؤتمر فينا الكنسي الذي انعقد عام (١٣١٢ ميلادي)، وفي هذا المؤتمر قُرر إنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الأوروبية، وقلنا أن هذه هي البداية الرسمية للاستشراق، وتحدثنا عن لماذا هي البداية الرسمية، ولماذا سمي بالاستشراق الرسمي.

الحلقة (٣)

- **العوامل التي ساعدت على نشأة الاستشراق:**

لو نظرنا إلى الاستشراق بلا شك أن العداء في الاستشراق ليس أمرا جديداً، إنما هو امتداد لمواقف الكفار عامة؛ وأهل الكتاب بخاصة، ولكن لعلنا وإياكم نتلمس عوامل حاسمة عوامل مهمة أبرزت الحركة الاستشراقية كظاهرة من الظواهر.

- **أهم وأبرز العوامل التي أسهمت في بروز الحركة الاستشراقية كظاهرة هي:**

١. **العامل الأول: الانتشار السريع للإسلام في المشرق والمغرب**، إن هذا الانتشار للإسلام لفت نظر رجال اللاهوت النصراني إلى هذا الدين، ولذلك حاولوا وسعوا إلى تشويه الإسلام، **لماذا؟**

لتحصين الغرب النصراني، والسعي إلى محاولة وقف الإسلام وانتشاره، ولذلك نجد أقوال عديدة لعدد من الكتّاب المستشرقين التي تُهاجم الإسلام وتُشوه الإسلام، لأن المقصود من هذا الكلام هو تحصين الغرب النصراني والحيلولة دون انتشار الإسلام.

- دعونا ننظر إلى مقولة المستشرق "**كيمون**" ولعلنا نأخذ جزءاً مختصراً من مقولته، اسمعوا ماذا يقول: (إن الديانة المحمدية جذام! تفشى بين الناس، وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا) ...إلخ ما ذكر في مقولته المطولة حول الإسلام، هذا فيما يتعلق بالعامل الأول ولعلنا نقف عدة وقفات حول بعض النقاط التي أشرنا إليها.

- **وقفات حول هذا العامل**:

الوقفة الأولى: وهي نقطة توضيحية كلمة **اللاهوت النصراني** أو **رجال اللاهوت النصراني**، المقصود بها -**رجال اللاهوت النصراني**-: **العلماء النصارى المتخصصين في معتقد الديانة النصرانية، رجال اللاهوت:المقصود بهم المختصين بالديانة النصرانية وبالتحديد فيما يتعلق بالمعتقد النصراني؛ مثل التثليث وغيره.**

الوقفة الثانية: لو نظرنا إلى ما قاله المستشرق "**كيمون**" وهذه من الإشكالات التي يقع فيها كثير من المستشرقين، عندما يقول "أن الديانة المحمدية جذام" نجد أن عدداً كبيراً من المستشرقين ينسبون الإسلام إلى الرسول محمد ﷺ، ولاشك أن هذا أمر خاطئ؛ الإسلام لا يُنسب إلى الرسول ﷺ كما قال تعالى: {**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**..} نعم الرسول نبي بلا شك، لكن لا ينسب الإسلام إليه، لكن هذا من الأخطاء التي تقع فيها الحركة الاستشراقية، هنا مقولة المستشرق "**كيمون**" عندما قال "جذام" هو يريد أن يُصور الإسلام مثل المرض الذي ينتشر بين الناس بسرعة، وهذا من التوصيفات التي يسعى من خلالها إلى تشويه الدين الإسلامي، هذا فيما يتعلق بالعامل الأول من العوامل التي ساعدت على نشأة الاستشراق.

٢.**العامل الثاني -يعد من العوامل المهمة والحاسمة في ظهور ونشأة الحركة الاستشراقية-** وهو **الحروب الصليبية**.

إن الحروب الصليبية التي دارت رحاها بين الإسلام والنصرانية الغربية في فلسطين من عام (٤٨٩ هـ) إلى عام (٦٩٠ هـ)، الموافق للفترة بين عام (١٠٩٥م)، إلى عام (١٢٩١م)، أي تقريبا قرنين من الزمان (حوالي مائتي عام) تخللتها انتكاسات حربية، هذه الانتكاسات أجبرت النصارى في التفكير بنقل المعركة من ساحة الحرب إلى حقل الفكر، **ولعل أول من نادى إلى هذه الفكرة** هو "**لويس التاسع**" **ملك فرنسا**، والذي هُزم وأُسر عام (١٢٥٠م) وتشير الكتابات بأنه كان رجلاً داهية، كتب وصية طالب فيها بوقف الحروب العسكرية على عالم الإسلام؛ **لماذا؟**

- **لأنه يرى أن هذه الحروب لم تحقق مصلحة كبيرة بالنسبة للنصارى، وأن تبدأ "حرب الكلمة"**، ودعا الكنيسة إلى العمل على تحريف مفهوم الإسلام، وجعله شبيها بمفهوم النصرانية القائم على أن (الدين علاقة بين الله والإنسان فقط)!

لقد أوجدت الحروب الصليبية حاجة كبيرة وملحة للحصول على صورة واضحة عن (أيدلوجية) أي معتقد وفكر، لأن كلمة **أيدلوجية** كلمة أجنبية المقصود بها (**المعتقد والفكر**) للحصول على صورة واضحة عن معتقد وفكر الخصوم، وفي هذا السياق يقول "**رودنسون**": (إن أوروبا لم تكن لديها صورة واضحة عن العالم المُعادي التي كانت في صدام معه).

- **وقفات حول هذا العامل**:

الوقفة الأولى: الحروب الصليبية عامل حاسم في ظهور الحركة الاستشراقية، وتخيلوا معي أن حوالي قرنين من الزمان حرب شرسة استمرت بين المسلمين والنصارى في فلسطين، لاشك أن هذه الحروب الصليبية جعلت النصارى يفكرون في وسيلة أخرى للحرب أقل كلفة مادياً وأقل كلفة عسكرياً وأقل في إثارة الطرف الآخر؛ لأن الحروب عادةً تثير الطرف الآخر،

فالنصارى في أثناء الحروب الصليبية فكروا في وسيلة أخرى للحرب أنسب من الحروب العسكرية، ولو نظرنا إلى الصراع المرير بين الغرب وبين الشرق الإسلامي؛ سنجد أن الغرب يلجأ إلى الحروب العسكرية، ولكن يكتشف فيما بعد أنها غير مناسبة وغير مجدية، نتيجة للآثار التي تترتب عليها، نعم بلا شك هي حاسمة هي تغير الأمور بسرعة؛ لكن النتائج المترتبة عليها قد تكون سلبية، ولذلك نادى "**لويس التاسع**" ملك فرنسا الذي هُزم وأُسر في دار "ابن لقمان" **أول من نادى بفكرة إيقاف الحروب العسكرية وأن يُفكر بحرب أخرى، ولعله أول من صرح بحرب الكلمة،** لما نقول حرب الكلمة هذا هو الاستشراق، الاستشراق بلا شك أنه يشوه الإسلام، يسعى إلى إثارة الشبهات والشكوك حول الإسلام؛ يكتب عنه، يصد الناس، فلاشك أن حرب الكلمة الحركة الاستشراقية هي جزء من حرب الكلمة، فإن هناك وسائل أخرى لحرب الكلمة؛ كالإعلام مثلا ..الخ **لكن الاستشراق جزء من حرب الكلمة.**

فـ"**لويس التاسع**" طالب الكنيسة بأن تبدأ حرب الكلمة وأن تسعى إلى تحريف مفهوم الإسلام، وجعله شبيها بمفهوم النصرانية بحيث أنه يحسر الإسلام وينحسر الإسلام في أمور معينة؛ يُجعل مثل الديانة النصرانية، ترتبط النصرانية بالكنيسة يوم الأحد، عيد ميلاد المسيح ما يسمى (بالكريسمس) أو (عيد الفصح الإيستر)، وبعض الطقوس الأخرى، لكن بقية الحياة ليس هناك بالدين النصراني دَخْل فيها، فلويس التاسع يطالب الكنيسة أن تعمل على حسر مفهوم الإسلام وجعله شبيهاً بمفهوم الديانة النصرانية.

- **فالحروب الصليبية عامل حاسم في ظهور الحركة الاستشراقية من جانبين**:

١. الجانب الأول: دعوة "**لويس التاسع**" لحرب بديلة عن الحروب العسكرية "**حرب الكلمة**"، ودعا الكنيسة إلى العمل على تحريف مفهوم الإسلام.

٢. الجانب الثاني: ما اتضح في مقولة المستشرق "**رودونسن**" الذي أشار إلى أن أوروبا كانت في صراع مع العالم المعادي -أي الإسلامي- لكن لم تكن لديها صورة واضحة عن العالم المعادي، فكأنه نتيجة للحروب الصليبية التي بدأها الغرب مع المسلمين في فلسطين -لم تكن هناك صورة واضحة عن الإسلامي عن المسلمين عن الإسلام- فنتيجة للحروب الصليبية طالب عدد من الغربيين [منهم رودونسن] بحصول صورة واضحة عن العالم المعادي التي كان في صدام مع أوروبا، والصورة الواضحة تتمثل في دراسة الطرف الآخر والكتابة عنه، والحصول على المعلومات عنه من الناحية التاريخية والجغرافية والمعتقد والثقافة، وكل هذه الأمور تمثل الدراسات الاستشراقية.

٣.العامل الثالث: الرغبة في تنصير المسلمين، حيث أكد المستشرق الألماني "**رودي بارت**" أن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي وفي القرون التالية هو "**التنصير**" حيث يتم إقناع المسلمين -بلغتهم- ببطلان الإسلام، واجتذابهم إلى النصرانية.

- وقفات حول هذا العامل:

الوقفة الأولى: الرغبة في تنصير المسلمين؛ لاشك أنها من العوامل التي أدت إلى ظهور الحركة الاستشراقية، فالمستشرق الألماني "**رودي بارت**" بين هذا بقوله: (إن الهدف الرئيس من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي والقرون التالية هو: التنصير)، يقول إن الهدف من الدراسات الاستشراقية هدف تنصيري؛ كيف يصبح استشراقاً؟

لأن التنصير عندما يُريد أن يُنصر يُؤكد على المنصِّر أن يتعلم الإسلام وأن يدرس الإسلام وأن يعرف البلاد الإسلامية، وأن يتعلم اللغة العربية؛ حتى يستخدمها كأداة جذب، إذا درس الغربي الإسلام ودرس الحضارة والثقافة الإسلامية وتعلم اللغة

العربية، فلاشك أن هذا هو الاستشراق الذي نتحدث عنه، **وبذلك يكون الرغبة في التنصير عامل حاسم في ظهور الحركة الاستشراقية.**

الوقفة الثانية: وهو ما يتعلق بالعامل الثالث وهو ما يتعلق بكلام "**رودي بارت**" في موضوعنا السابق في الحلقة الثانية، "**رودي بارت**" كأنه يميل إلى الرأي الثاني من آراء المؤرخين حول بداية الحركة الاستشراقية، هنا يقول "**رودي بارت**" إن الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في القرن الثاني عشر الميلادي، وفي القرون التالية" كأنه يرى أن الاستشراق بدأ في القرن "**الثاني عشر الميلادي**" الرأي الثاني من آراء المؤرخين الذي يشير إلى أن الاستشراق بدأ في القرن الثاني عشر ميلادي اعتبارا من ترجمة ونقل معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية، كما ذكرنا وأشرنا في الحلقة الماضية.

لعلنا وإياكم في نهاية هذه الحلقة نلخص ما ذكرنا وأشرنا إليه فيما يتعلق بالعوامل التي ساعدت على نشأة الاستشراق.

أشرنا إلى أن ظاهرة العداء الموجودة في الاستشراق ليست جديدة، إنما امتداداً لمواقف الكفار عامة وأهل الكتاب بخاصة من الإسلام من القرآن من النبي محمد ﷺ... إلخ، لكننا نتلمس العوامل التي أبرزت الحركة الاستشراقية كظاهرة لها نمط معين في الطرح، لها نمط معين في الرؤية، لها نمط معين في الدراسات، فنحن وإياكم نتلمس العوامل التي أبرزت الحركة الاستشراقية كظاهرة وليس فقط الجانب العدائي.

١. **العامل الأول**: **الانتشار السريع للإسلام** في المشرق والمغرب، حيث أخاف رجال اللاهوت النصراني ولذلك فكروا في طريقة لمواجهة هذا المد، من خلال دراساتهم ورؤيتهم رأوا أن أفضل طريقة للوقوف أمام هذا المد الإسلامي هو السعي لتشويه الإسلام، **لماذا؟**

- حتى يحصنون الغرب النصراني أمام المد الإسلامي، لأنهم يرون لما يتحدثون عن أموراً معينة في الإسلام ويشوهون الإسلام كأن هذه توقف الإنسان الغربي عن التفكير في النظر للإسلام، إذا أرادوا التشوية لابد أن يُدرس الإسلام فبذلك يكون هذا الأمر اهتمام بالاستشراق أو بداية للاستشراق، وأشرنا إلى مقولة المستشرق الفرنسي "**كيمون**" عندما تحدث عن الديانة المحمدية وقال بأنها جذام تفشى بين الناس وأخذ يفتك بهم فتكا ذريعا... إلخ

٢. **العامل الثاني وأرى أنه أهم العوامل على الإطلاق**: **الحروب الصليبية** وتحدثنا عن الفترة الزمنية التي كانت فيها الحروب الصليبية، وتحدثنا عن الانتكاسات التي حدثت في الحروب الصليبية، ثم تحدثنا عن مشورة ونصيحة **لويس التاسع** بإيقاف الحروب الصليبية على العالم الإسلامي وأن يبحث عن بديل للحروب العسكرية واقترح البديل أن يكون "**حرب الكلمة**" وطالب الكنيسة بالعمل على تحريف مفهوم الإسلام وإخراجه من أصالته وتكامله الجامع وجعله شبيهاً بمفهوم النصرانية، وتحدثنا عن"**ردنسون**" ورؤيته بأن الحروب الصليبية أوجدت حاجة ملحة وكبيرة للحصول على صورة واضحة المعالم عن العالم المعادي الذي كانت أوروبا في صدام معه، فـ"**ردنسون**" يطالب بأن يُدرس الإسلام وتُدرس العقيدة الإسلامية حتى تكون لدى أوروبا صورة واضحة عن العالم الإسلامي.

٣. **العامل الثالث والأخير**: **الرغبة في تنصير المسلمين**، وأشرنا إلى مقولة المستشرق الألماني "**رودي بارت**" عندما أكد الهدف الرئيسي من جهود المستشرقين في القرن **الثاني عشر والقرون التالية** هو التنصير وتحدثنا عن هذا الأمر بتفصيل، من حيث أن الاستشراق من أهدافه الجانب التنصيري، وأن المنصِّر إذا أراد أن يعمل بالتنصير يؤكد عليه أن يكون لديه معرفة واطلاعاً على معتقد المسلمين وعلى حضارتهم وعلى ثقافتهم وعلى عاداتهم وعلى حياتهم، بحيث أنه يستطيع أن يستخدم

كل ما لديه من معلومات للتأثير على المسلم وإقناعه، كذلك الاهتمام بدراسة اللغة العربية واستخدامها وسيلة للتأثير على المسلم، واجتذاب الناس إلى الديانة النصرانية.

الحلقة (٤)

مراحل تطور الاستشراق:

- الاستشراق مرَّ بفترة زمنية طويلة، تقريباً من القرن **الحادي عشر الميلادي** -على اختلاف آراء المؤرِّخين على بدايته- سواء كان الحادي عشر أو الثاني عشر أو الثالث عشر أو الرابع عشر إلى **القرن العشرين،** فهي فترة زمنية طويلة، **ولاشك أننا حاولنا أن نُقسِّم هذه الفترة إلى ثلاث مراحل رئيسة،** نتناول في هذه الحلقة المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق.

المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق قد توصف بعِدَّة أوصاف منها:

١. الوصف الأول: أنها مرحلة الترجمة، مرحلة الترجمة **بدأت من عام ٥٢٨هـالقرن السادس الهجري، القرن الثاني عشر الميلادي، حيث قام علماء النصارى بترجمة الكتب العربية عندما اقتنعوا بأن العرب والمسلمين يملكون مفاتيح العلم.**

حركة الترجمة هذه تُشبه إلى حد كبير حركة الترجمة التي تمَّت في **عهد المأمون** ومن سبقه لترجمة علوم اليونان إلى اللغة العربية، التشابه في نفس الحركة في الترجمة، في عهد المأمون كان هناك اهتماماً بترجمة علوم اليونان إلى اللغة العربية، وفي **القرن السادس الهجري -الثاني عشر الميلادي-** كان هناك اهتمام بترجمة العلوم والمعارف الإسلامية في الأندلس إلى اللغات الأوروبية.

من أوائل هؤلاء الرهبان الذين كان لهم مساهمة في هذه الحركة الفكرية -حركة الترجمة- **الراهب الفرنسي بطرس الملقَّب بالمحترم** -بطرس من الأسماء المتداولة بكثرة- يُعرف بطرس هذا بلقب المحترم، **الفترة التي عاش فيها بطرس من ٤٨٧ إلى ٥٥١هـالموافق ١٠٩٤ إلى ١١٥٦م.**

يتْبع بطرس الرهبانية البندكتية، عينته لسعة إطلاعه رئيساً على ديرها في كولوني عام ٥١٧هـالموافق ١١٢٣م، قصد بطرس **الأندلس** عام ٥٣٦هـالموافق ١١٤١م للاستزادة من علومها، ولما رجع إلى دَيْرِهِ -دَيْر كولوني- شكَّل مجموعة من المترجمين يعملون كفريق واحد وترجموا بعض النصوص العربية، أعدُّوا مجموعات تعرف باسم **مجموعة كلونيك،** وتحتوي على مؤلَّف لبطرس.

يُعدّ دَيْر كلوني الذي يرأسه بطرس من أهم الأديرة في التاريخ الأوروبي في العصر الوسيط، وأدَّى هذا الدَّير دوراً أساسياً في التحريض على الحروب الصليبية، **بلغ عدد الأديرة في القرن الثالث عشر ميلادي حوالي ألفي دير تحت السلطة العليا للبابا.**

- **نقف عدّة وقفات عند نقاط أشرنا إليها نوضحها ونشرحها:**

أ- قلنا أن **بطرس** يتبع إلى الرهبانية البندكتية، نسبةً إلى القديس بندكت مؤسس الرهبانية الغربية في دير اسمه دير **مونتكاسيو، ويُعدّ** من الأديرة المشهورة، أسّسها بندكت -الرهبانية الغربية- وبندكت عاش بين ٤٨٠ إلى ٥٤٧ ميلادي.

ب- كلمة الدَّيْر أو الدِّيَر كلاهما صحيحة؛ **يُقصد به مكان للتجمُّع بالنسبة للنصارى يكون بعيداً يقوم بأكثر من مهمَّة،** نلحظ أن دير كولوني اهتم بالترجمة، فالدير عادةً يذهب إليه الرهبان والقساوسة، بحيث يبتعدون عن حياة الناس ويعيشون في داخله، بل بعض الأديرة يكون فيها أماكن حقول ومزارع بحيث أنهم يعتمدون على قُوْتِهم من داخل الدَّير؛ **فالدَّير** بمثابة مكان متعدد بعيد عن الناس يقوم بمهمات عديدة بالإضافة إلى الجانب النصراني: التعبُّد ووجود في الكنيسة، إلا أنه يقوم أيضاً مثل التأليف فيعيش فيه الناس وينقطعون عن الحياة، هذا ما يتعلق بمصطلح الدَّيْر أو الدِّير.

ج- أشرنا أن **دير كولوني** من الأديرة المشهورة، وذكرنا أنه كان له دور في التحريض على الحروب الصليبية، أشرنا إلى نقطة

أخرى في غاية الأهمية أن هناك **كثرة في القرن الثالث عشر وما بعده لعدد الأديرة** حتى أنه بلغ عدد الأديرة التابعة للسلطة العليا للبابا الذي يتبع للكنيسة الكاثوليكية حوالي ألفي دَيْر.

د- أشرنا بأن **بطرس** كان من أوائل الرهبان الذين اهتموا **بالترجمة** وعمل في الترجمة واستطاع أن يُشكِّل مجموعة من المترجمين يعملون كفريق واحد، ولذلك أعدوا مجموعات تُعرف باسم مجموعة كلونيك تحتوي على مؤلف لبطرس من ضمن المجموعة.

هـ- هنا نُشير إلى نقطة في غاية الأهمية فيما يتعلق بالعمل الجماعي؛ نجد أن بطرس -وهذا موجود في الحركة الاستشراقية العمل الجماعي وليس الجانب الفردي- نجد أن بطرس شكَّل مجموعة من المترجمين، وهذا يكون أدعى وأيسر وأكثر إنتاجاً، لأن الإنسان لو أراد أن يترجم لوحده فسوف يتعب ويُسْتَهلك، وقد لا ينتج إنتاجاً كبيراً، بينما إذا كانوا مجموعة ويقسم العمل بينهم، وتكون هناك إدارة لمتابعتهم والتأكد من ترجمتهم ثم إخراجها لاشك أن العمل ينجح، وهذا من الأمور الموجودة في الحركة الاستشراقية، ولذلك بطرس شكَّل مجموعة من المترجمين واستطاعوا إعداد مجموعة تعرف باسم **مجموعة كلونيك**، وتحتوي على مؤلَّف لبطرس.

- **بطرس –بالإضافة إلى عمله في الترجمة واهتمامه بها– يرى أنه مُجنَّد للدفاع عن محاور عِدَّة، من أهمها**:

١. محاربة الكفر -من وجهة نظره هو- المتمثل في الديانتين اليهودية والإسلامية.

٢. الوقوف في وجه الأخطار التي كانت تواجهها الكنيسة في عصر تميَّز بالاضطراب الفكري، في القرن **الثاني عشر الميلادي** كان هناك بداية الاضطرابات الفكرية، واشتدت وبرزت في القرن **السادس عشر والسابع عشر الميلادي**.

٣. السعي في تقوية الكنيسة ضد الأخطار، ولو نظرنا إلى المحاور التي جعلها بطرس نصب عينيه وسعى إلى القيام بها، لوجدنا أن الثاني والثالث مرتبطة بالكنيسة، الوقوف في وجه الأخطار أو تقوية الكنيسة ضد الأخطار، بينما الأول هو خارج الكنيسة وهو مواجهة ومهاجمة الديانتين اليهودية والإسلامية.

هذا ما يتعلق بالمثال الأول من أمثلة الرهبان الذين كان لهم دور كبير في حركة الترجمة، لأننا قلنا أن الوصف الأول من أوصاف المرحلة الأولى: أنها توصف بأنها مرحلة الترجمة.

من الرهبان الذين كان لهم مساهمة في حركة الترجمة **جيرار دي كريمون** وهو إيطالي من الرهبانية البندكتية كبطرس، بندكتية نسبة إلى بندكت مؤسس الرهبانية الغربية، عاش **جيرار دي كريمون** في الفترة **من ٥٠٨ إلى ٥٨٣هـالموافق ١١١٤ إلى ١١٨٧م،** قصد طليطلة حيث تعلم اللغة العربية وعكف على مصنَّفاتها وترجم منها ما لا يقل عن سبع وثمانين مصنَّفاً في الطب والرياضيات والفلسفة، وهذه التراجم مع مثيلاتها مهَّدت إلى انتشار العلوم في أوروبا.

لو نظرنا إلى **جيرار دي كريمون** لوجدنا أنه ترجم ما لا يقل عن سبع وثمانين مصنَّفاً في علوم تعدّ من أصعب العلوم، والترجمة ليست ترجمة كاملة بل ترجم مقتطفات من هذه المصنفات، ولاشك أن هذا عمل كبير كونه يطَّلع على سبع وثمانين مصنَّفاً ثم يترجم منها ما يرى أنه مهم ومناسب؛ لاشك أنه عمل ليس بالشيء القليل.

هذا هو الوصف الأول من أوصاف المرحلة الأولى من مراحل الاستشراق، وذكرنا أن الوصف الأول أنها مرحلة الترجمة.

٢. الوصف الثاني: من أوصاف المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق توصف بأنها مرحلة الجهالة الحقيقية بالإسلام التجهُّل موجود، لكننا هنا نشير إلى الجهالة الحقيقية بالإسلام، لقد أطلق **سادرن** على هذه الفترة في كتابه (نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى) أطلق عليه عنوان عصر الجهالة، **فسادرن** يُقِرّ ويُبيّن أن القرون الوسطى توصف أو تعرف بأنها عصر الجهالة، وهو عصر كان أبعد ما يكون عن روح العلم والموضوعية.

يقول **سادرن** -النص لم نقتبسه من البداية- (نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى) يقول: "إن الشيء الوحيد الذي يجب ألا تتوقع وجوده في تلك العصور -القرون الوسطى- هو الروح المتحررة الأكاديمية أو البحث الإنساني الذي تميزت به الكثير من البحوث في المائة سنة الأخيرة" أ.هـ.

لو نظرنا إلى مقولة **سادرن** يبين أن تلك الفترة لم تكن فيها الكتابات أكاديمية "المقصود أنها لم تكن ذات طابع علمي- أو البحث الإنساني"، فهذه الأمور غير موجودة بل مغيبة، لاشك أن كلامه الأول صحيح ودقيق وهو قوله: "إن الشيء الوحيد الذي يجب ألا تتوقع وجوده في تلك العصور – القرون الوسطى – هو الروح المتحررة الأكاديمية أو البحث الإنساني"، أما الجزء الأخير من كلامه يشير فيه إلى تحوُّل في الكتابات الاستشراقية في المائة سنة الأخيرة، لكن ليس بالتحول الذي يشير إليه بأنه تحول كامل وإيجابي في المائة سنة الأخيرة، بلا شك أن هناك تحول في كتابات ظهرت فيها كتابات علمية، كتابات متحررة من الارتباط بالكنيسة، كتابات فيها إيجابية، لكن لم تكن الصورة كاملة كما أشار هنا أن المائة سنة الأخيرة بحوث إنسانية وبحوث متحررة أكاديمية.

على الرغم من الجهالة الحقيقية بالإسلام إلا أن النصارى نشطوا في الكتابة ضد الإسلام، وراحوا ينشرون الافتراءات والأكاذيب حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ.

لقد اعترف المستشرق **لوجانت** المتوفى سنة **٦٢١ هـالموافق ١١٢٤م** بأنه لا يعتمد في كتاباته على أية مصادر مكتوبة، وأشار فقط إلى آراء العامة وأنه لا يوجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، وهذه مشكلة من مشكلات الحركة الاستشراقية، على الرغم من الجهالة إلا أنهم نشطوا في الكتابة وراحوا ينشرون الافتراءات حول الإسلام ونبيه محمد ﷺ واعتمدوا على ما يشاع، ثم **لوجانت** قال بأنه على الرغم من اعتماده على ما يشاع بين الناس؛ أيضاً لم تكن لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، فما استطاع أن يميز بين ما يشاع بين الناس هل هو صحيح أم غير صحيح!!!

هذا ما يتعلق بالوصف الثاني من أوصاف المرحلة الأولى.

- **لعلنا نختصر ما تحدثنا عنه ونجمله في نقاط محدودة في نهاية هذه الحلقة:**

أشرنا إلى أن المرحلة الزمنية التي مر بها الاستشراق مرحلة زمنية طويلة ولذلك قسمناها إلى ثلاث مراحل، فالمرحلة الأولى وصفت بوصف حاسم ومهم بأنها **مرحلة الترجمة**، وقلنا بأنها بدأت في **القرن السادس الهجري، الثاني عشر الميلادي**، وكان هناك شخصيات اهتمت بالترجمة وذكرنا منهم **بطرس** وتحدثنا عنه بالتفصيل فيما يتعلق بذهابه للأندلس وتشكيله مجموعة من المترجمين بعدما عاد إلى **دَيْره في كولوني**، واستطاع إعداد مجموعة تعرف باسم **كلونيك** تحتوي على مؤلف لبطرس، تطرقنا لدير كولوني ورئاسة بطرس له وجهوده في التحريض على الحروب الصليبية.

تحدثنا عن كثرة الأديرة، وعن المحاور التي نصبها بطرس للدفاع عنها وقلنا بأنها ثلاثة محاور رئيسة.

ذكرنا المثال الثاني وهو **جيرار دي كريمون**، وذكرنا أنه يتبع نفس **الرهبانية البندكتية**، تحدثنا عنه وتحدثنا عن جهوده في الترجمة.

الوصف الثاني من أوصاف المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق **مرحلة الجهالة الحقيقية بالإسلام**، واستشهدنا بكلام **سادرن** في كتابه (نظرة الغرب إلى الإسلام في القرون الوسطى)، وتحدثنا عن على الرغم من وجود الجهالة بالإسلام إلا أن الحركة الاستشراقية تكتب، وأشرنا إلى **لوجانت** لما تحدث عن الإسلام، وذكر بأنه يسمع إلى آراء العامة وأنه لا توجد لديه أية وسيلة للتمييز بين الخطأ والصواب، وأشرنا إلى أن هذه مشكلة من مشكلات الحركة الاستشراقية؛ فعلى الرغم من

الجهالة الحقيقية بالإسلام إلا أن النصارى نشروا الكتابات وتحدثوا عن الإسلام، ولا يرجعون ولا يعودون إلى مؤلفات علمية موثوقة في حديثهم عن الإسلام، وإنما ما يسمعونه من العامة، ولاشك أنهم كانوا لا يبالون بالمعلومة في تلك الفترة، وإنما نشروا الافتراءات والأكاذيب عن الإسلام والنبي ﷺ.

الحلقة (٥)

- **في هذه الحلقة نتحدث عن: المرحلة الثانية** من مراحل تطور الاستشراق.

توصف هذه المرحلة بأنها مرحلة تطور الاستشراق، ولعلنا نشير هنا بأن الحضارة الإسلامية من المؤسف بدأت في الضعف والترهُّل، بينما الحضارة الغربية بدأت في الصعود، وفي هذه الفترة في المرحلة الثانية حاول الاستشراق دراسة الشرق الإسلامي وأهله دراسة فيها شيء من الشمول والعمق، وهذا بلا شك أن المرحلة الثانية بلا شك تختلف عن المرحلة الأولى، فهنا في بدايات، في اهتمام بدراسة الشرق الإسلامي، واهتمامات في تقديم بعض الدراسات التي فيها شيء من الشمول وشيء من العمق.

- **عوامل ساعدت في تطور الدراسات الاستشراقية في الفترة الثانية:**

لعلنا نتساءل لماذا تغير الاستشراق؟ لماذا تطور الاستشراق في المرحلة الثانية؟

يشير عدد كبير من الكتاب إلى أن هناك عوامل عدة ساعدت في تطور الدراسات الاستشراقية في الفترة الثانية. **من هذه العوامل:**

١. **الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت رقعتها حينذاك،** لاشك أن الدولة العثمانية توسعت لاسيما في **القرن الخامس عشر والسادس عشر الميلادي**، فنتيجة لتوسعها ودخولها لأماكن ما يعرف الآن بالبوسنة والهرسك؛ جعلت هناك صلات سياسية ودبلوماسية، هذه الصلات السياسية والدبلوماسية أدَّت إلى تقدم وتطور الدراسات الاستشراقية.

٢. **وهو أمر يتعلق بالغرب؛ ظهور النزعة الإنسانية، والمقصود بالنزعة الإنسانية التجرد من الضغوط الكنيسة**، فخرج في **القرن السادس عشر** النزعة الإنسانية، فأصبح عدد من الغربيين يتجرد من الضغوط الكنسية، فظهور النزعة الإنسانية في القرن السادس عشر وما بعده أدَّت إلى دراسة الشرق الإسلامي بطريقة جديدة أكثر موضوعية من ذي قبل.

٣. **وهو مرتبط بالكنيسة؛ فنجد أن الكنيسة واجهت صعوبات كبيرة أمام حركات التحرُّر التي كانت تهاجم الكنسية ومظالمها،** حركات التحرُّر التي خرجت في الغرب في **القرن السادس عشر والسابع عشر** أشغلت الكنيسة وجعلت هناك فرصة سانحة أمام بعض الأشخاص في التحرر من الضغوط الكنيسة والكتابة بصورة مغايرة ومخالفة عما أَلِفَه الناس من الكتابات السابقة، فكانت الكنيسة مهيمنة ومسيطرة على الناس لأن أغلب من كتبوا كانوا من القساوسة والرهبان، فانشغال الكنيسة بحركات التحرر ونقدهم لها أوجد فئة وطائفة من الناس استطاعت أن تكتب بصورة مغايرة لما أَلِفَه الناس.

٤. **الاهتمام بالمخطوطات وإنشاء كراسي اللغة العربية،** وكان ذلك في **القرن السابع عشر الميلادي.**

لعلنا نقف عدة وقفات عند العامل الرابع، اهتم الغرب **بالمخطوطات الإسلامية** ونقلوا عدداً كبيراً من المخطوطات إلى البلاد الغربية ولا تزال بعض المخطوطات موجودة، **ومن الأماكن التي عرفت بالمخطوطات المتحف البريطاني،** أيضاً يوجد في عدد من المراكز البحثية في الغرب إلى الآن مخطوطات، **وقد حصلوا على المخطوطات** إما بالشراء وقد بيعت -مع الأسف- بعض المخطوطات بأثمان بخسة، أو الأخذ بالقوة أثناء فترة الاحتلال والاستعمار الذي حصل على البلاد الإسلامية والعربية،

فنقلوا عدداً كبيراً من المخطوطات إلى البلاد الغربية، هم يعرفون أهمية ما تحتويه هذه المخطوطات، واستطاعوا الحصول على أثمان عالية في بيع بعض المخطوطات إذا احتاجوا إلى المال، واستطاعوا أيضاً استقطاب عدد من الطلاب للدراسة في الغرب لتحقيق بعض هذه المخطوطات، فالغرب اهتم بالمخطوطات وحرص عليها فأغلبها جوانب إيجابية بالنسبة لهم، حتى في ما يتعلق بالتحقيق فالغالب أن الطالب يكتب ملخص باللغة الأجنبية عن المخطوطة، فبدلاً من أن المستشرق يتعب في قراءتها أو الغرب يتعب في قراءتها، نجد أنه يعود إلى الملخص الذي كُتب عن المخطوطة باللغة التي يتحدث بها المستشرق.

الجانب الإيجابي فيما يتعلق بالمخطوطات بالنسبة لنا المسلمين؛ الحفاظ على المخطوطات وفهرستها ومعالجتها من التلف بما لديهم من التقنية، فقاموا بمعالجة بعض المخطوطات والحفاظ عليها من التآكل -مع الأسف- أنهم متقدمين في جانب الحفاظ على المخطوطات ومعالجتها، وهذا من الجوانب الإيجابية، فبقيت المخطوطات -على الرغم من أنها لم تكن موجودة عندنا- إلا أنها بقيت وحافظوا عليها، هذا ما يتعلق بالمخطوطات.

فيما يتعلق بالكراسي، في **القرن السابع عشر** اهتم الغرب بإنشاء كراسي لتعليم اللغة العربية، وكلمة **كرسي** هي ترجمة لمصطلح chair باللغة الإنجليزية، **المقصود بها** أماكن في الجامعات إما بتعليم حلقات أو دورات أو بحوث أو دراسات أو غيرها، ولاشك أنهم سبقونا، نحن عندنا الآن اهتمام بالكراسي وإنشائها، لكن لو نظرنا إلى الغرب لوجدنا أنها موجودة في القرن السابع عشر الميلادي.

لقد تم إنشاء كراسي كثيرة؛ ومنها إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة **كيمبريج** بالتحديد **عام ١٠٤٦ هالقرن الحادي عشر الهجري، ١٦٣٦ القرن السابع عشر الميلادي، هذا الكرسي نصَّ صراحةً على خدمة هدفين: الأول**: **تجاري**، **والثاني تنصيري**.

وهذا يبين لنا فيما يتعلق بتعلم وتعليم اللغة العربية في الغرب يخدم جوانب تجارية بالإضافة إلى أنه يخدم جوانب دينية كثيرة، فقد جاء في خطاب للمراجع الأكاديمية المسئولة في جامعة كيمبريج بتاريخ ٥/٩(مايو) ١٦٣٦م إلى **مؤسس الكرسي** ما يلي يقول: "... ونحن ندرك أننا لا نهدف من هذا العمل إلى الاقتراب من الأدب الجيد بتعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها، ولكننا نهدف إلى تقديم خدمة نافعة إلى الملك والدولة -يشير إلى بريطانيا- عن طريق تجارتنا مع الأقطار الشرقية وإلى تمجيد الله بتوسيع حدود الكنيسة والدعوة إلى الديانة النصرانية".

لو نظرنا إلى نص مؤسس الكرسي هو يشير إلى أهداف قد تكون ظاهرة بديهية واضحة، ولذلك قال "ليس هدفنا فقط الاقتراب من الأدب الجيد أو تعريض جانب كبير من المعرفة للنور بدلاً من احتباسه في نطاق هذه اللغة التي نسعى لتعلمها" هذه أمور واضحة عند تعلم اللغة العربية سوف يتعرفون على الأدب وسوف يبرزون جانباً كبيراً من المعرفة للنور، لكن هذه أهداف ظاهرة وواضحة، لكنهم يهدفون إلى أهداف أخرى غير ظاهرة ولا واضحة تتمثل في توسيع التجارة مع الأقطار الشرقية فيرى أنها خدمة لبريطانيا، أيضاً إلى هدف آخر -مرتبط بالتنصير- إلى تمجيد الله -من وجهة نظرهم- والتمجيد بزعمهم يكون بحدود الكنيسة، فإذا استطاعوا نشر الكنائس فلاشك أنهم من خلال الكنيسة يستطيعون أن يدعو إلى الديانة النصرانية، وتبين مقولة مؤسس الكرسي الأهداف التي ذكرناها عندما تحدثنا أن كرسي اللغة العربية الذي أنشئ في جامعة كيمبريج نصَّ صراحةً على خدمة هدفين ذكرناها، بالإضافة إلى الاقتراب من الأدب الجيد وتعريض جانب كبير من المعرفة للنور.

- **لعلنا نلخص ما أشرنا إليه فيما يتعلق بالمرحلة الثانية من مراحل تطور الاستشراق**

تحدثنا عن المرحلة الأولى وذكرنا أوصافاً لها، **فالمرحلة الثانية** اختلفت عن المرحلة الأولى، ونستطيع أن نصفها بأنها **مرحلة تطور الدراسات الاستشراقية.**

أشرنا إلى نقطة مهمة أن الحضارة الإسلامية -مع الأسف- بدأت في الضعف والترهُّل في **القرن الخامس عشر والسادس عشر**، بينما الحضارة الغربية بدأت في الصعود والبروز، وذكرنا سابقاً أن أوروبا من **القرن العاشر إلى القرن السادس عشر** عاشت عصور الظلام والانحطاط والتخلُّف، لكن **في القرن السادس عشر** خرجت من الظلام والانحطاط إلى ما يسمى بعصر النهضة، **فالمرحلة الثانية** من مراحل الاستشراق لاشك أننا نستطيع أنها مرحلة تطور الدراسات الاستشراقية، وبلا شك هي مرتبطة أيضاً بالغرب فحضارته بدأت في الصعود والبروز.

- أشرنا إلى مجموعة من العوامل التي ساعدت على تطور الدراسات الاستشراقية – و**المقصود بتطور الدراسات الاستشراقية** أنه أصبح هناك اهتماماً ودراسة للشرق الإسلامي، ودراسات فيها شيء من الشمول والعمق، وهي أمور نسبية، فهذا مقارنة بالمرحلة الأولى، فالدراسة في المرحلة الثانية فيها شيء من الشمول والعمق بخلاف المرحلة الأولى.

هناك عوامل عديدة ساعدت على تقدم وتطور الدراسات الاستشراقية، ذكرنا منها:

- الصلات السياسية والدبلوماسية مع الدولة العثمانية التي اتسعت رقعتها في تلك الفترة، ونحن نعلم أن الدولة العثمانية وصلت أماكن في أوروبا –الآن أوروبا الغربية – وصلت إلى البلقان التي فيها الآن عدداً من المسلمين فيما يعرف الآن بالبوسنة والهرسك، أيضاً كان هناك علاقات وصلات تجارية بين البلاد العربية والبلاد الغربية وعلى وجه التحديد مصر وسوريا فكان هناك نتيجة للصلات والروابط الاقتصادية دفعت الدراسات الاستشراقية إلى التقدم .
- ظهور النزعة العقلية في **القرن السادس عشر، و**النزعة العقلية بلا شك أنها مخالفة للكنيسة، وظهور النزعة العقلية وبروزها ومخالفتها للكنيسة أدَّت إلى دراسات أكثر موضوعية من قبل، ونشير إلى أن الأمور نسبية، ليست موضوعية كاملة أو مناسبة، لكنها بلا شك أفضل وأكثر موضوعية من المرحلة الأولى.
- أشرنا إلى أنه في **القرن السادس عشر** خرجت حركات التحرر وهاجمت الكنيسة ومظالمها، فانشغلت الكنيسة بهم فأتيحت الفرصة لظهور بعض الكتابات التي اختلفت عن النمط السائد السابق.
- وهو عامل مهم في تطور الدراسات الاستشراقية هو الاهتمام بالمخطوطات وإنشاء كراسي للغة العربية، **وكان ذلك في القرن السابع عشر الميلادي.**

- تحدثت عن **المخطوطات** وكيف انتقلت إلى البلاد الغربية، وتحدثنا عن أن البلاد الغربية أفادت كثيراً من المخطوطات سواءً من الناحية والاقتصادية أو من الناحية العلمية أو من الناحية البحثية، الجانب الإيجابي بالنسبة للمسلمين أن الغرب حافظوا على هذه المخطوطات من التلف وقاموا بمعالجتها وفهرستها.

- تحدثت عن **الكراسي وإنشائها** وأشرت إلى أن أهم كرسي أنشئ في **القرن السابع عشر** هو كرسي اللغة العربية في جامعة كيمبريج في **القرن الحادي عشر الهجري بالتحديد ١٠٤٦ هـالسابع عشر الميلادي ١٦٣٦م،** وأن هذا الكرسي نصَّ صراحة على خدمة هدفين: **تجاري وتنصيري.**

-ختمنا حديثنا بما ذكرناه حول مؤسس الكرسي وكان ذلك في ٥/٩ شهر مايو - ١٦٣٦م عندما تحدث وبين أنه لم يكن الهدف فقط هو الاقتراب من الأدب الجيد أو تعريض جانب كبير من المعرفة للنور، ولكن الهدف الذي سعى إليه الكرسي هو **التجارة** وذلك من خلال تقديم خدمة نافعة للملك والدولة عن طريق تقديم تجارتنا مع الأقطار الشرقية وتوسيعها –ولا

شك أننا نعرف أهمية اللغة العربية في قضية توسيع التجارة في العقود والبضائع لابد أن يكتب عليها باللغة التي تريد أن تصدر إليها- وأشار إلى هدف آخر يتعلق بتمجيد الله ويكون ذلك -من وجهة نظرهم- بتوسيع حدود الكنيسة، وأنه من خلال التوسع في الكنائس يستطيعون أن يدعوا إلى الديانة النصرانية، فهنا أشار المؤسس إلى هدفين في إنشاء الكرسي بالإضافة إلى الأهداف الظاهرة والمعروفة فيما يتعلق بإبراز المعرفة أو تعلم الأدب.

الحلقة (٦)

موضوعنا في هذه الحلقة المرحلة الثالثة وتوصف بأنها: مرحلة ازدهار الدراسات الاستشراقية

في هذه المرحلة كانت هناك محاولات جادة لفهم الإسلام على الرغم من الأهداف التنصيرية، فقد شهدت نهاية القرن **السابع عشر الميلادي** اتجاهاً آخر مختلفاً استمر في **القرن الثامن عشر**، هذا الاتجاه نظر إلى الإسلام نظرة شبه محايدة -لا نقول محايدة- فيها شيء من التعاطف مع الإسلام، وقد شجَّع على ذلك ظهور النزعة العقلية الجديدة والتي كانت في عمومها مخالفة للكنيسة، وهكذا سنحت الفرصة أمام بعض العقلاء من الأوربيين للوقوف في وجه الظلم الذي لقيه الإسلام من الغرب في القرون الوسطى، وظهرت بعض المؤلفات العامة المعتدلة إلى حدٍ ما عن الإسلام والحضارة الإسلامية.

- من بين الأمثلة على ذلك **ريتشارد سيمون** في كتابه "التاريخ النقدي لعقائد وعادات أمم الشرق" والذي **صدر عام ١٠٩٦هـالموافق ١٦٨٤م**، فقد سعى إلى عرض عقائد وعادات المسلمين في وضوح واتزان، مستنداً في عرضه لها على مرجع لأحد علماء المسلمين مبدياً تقديره وإعجابه بالعادات الإسلامية.
- ولعلنا هنا نلحظ أن **ريتشارد سيمون** اعتمد على مرجع لأحد علماء المسلمين، هذا لو قارنَّا هذه المرحلة الثالثة والكتابات بالمرحلة الأولى لوجدنا أنّ هناك اختلافاً كبيراً، ففي **المرحلة الأولى** لم يكونوا يعتمدون على أية مصادر مكتوبة، **هنا نجد** أن **ريتشارد سيمون** اعتمد على مصدر لأحد علماء المسلمين، وتحدث عن عادات المسلمين وتحدث في وضوح واتزان.
- مثال آخر: الفيلسوف **بيير بايل كان من المعجبين بالتسامح الإسلامي**، وقد ظهر أثر ذلك في عرضه لحياة محمد ﷺ في قاموسه التاريخي والنقدي، وقد **ظهرت طبعته الأولى في روتردام عام ١١٠٩ هـالموافق ١٦٩٧م**، ولو نظرنا إلى **بيير بايل** الذي كان من المعجبين بالتسامح الإسلامي؛ نجد أن عدداً من الكُتَّاب الغربيين اليوم يُشيدون بالتسامح الإسلامي، ويذكرون أبرز مثال على التسامح الإسلامي ما حصل في **الأندلس**، ولا شك أن الإسلام كان متسامحاً، وهناك تسامح إسلامي مع مخالفيه، ومجموعة من الكتاب الغربيين يعترفون بأن التسامح الإسلامي كان متجسداً في الأندلس وكان بارزاً وظاهراً وواضحاً، الأمثلة المشار إليها أمثلة رائدة في الاتجاه الجديد نحو الفهم الصحيح للإسلام.

أما أول المحاولات العلمية للتعرف على الإسلام عن قرب فقد كانت على يد المستشرق **هادريان ريلاند المتوفى سنة ١١٣١هـ، الموافق ١٧١٨م** أستاذ اللغات الشرقية في جامعة أوترشت بهولندا، صدر له كتاب باللغة اللاتينية عن الإسلام **عام ١١١٧هـ، الموافق ١٧٠٥م** بعنوان "الديانة المحمدية" في جزءين، عرض في أولهما العقيدة الإسلامية معتمداً على مصادر بالعربية واللاتينية، وفي الجزء الثاني سعى إلى تصحيح الآراء الغربية التي كانت سائدة حينذاك عن تعاليم الإسلام.

نقف وقفة مع كتاب **ريلاند**، لاشك أن كتابه محاولة علمية للتعرف على الإسلام، بلا شك أنه أفضل من غيره من الكتابات السابقة، وهنا نؤكد على أن هناك إشكالية لدى المستشرقين حتى أولئك الذين حاولوا إنصاف الإسلام وقعوا في بعض الإشكالات وبعض الأخطاء ومنهم **ريلاند**؛ فعنوان كتابه (الديانة المحمدية) لاشك أنه غير دقيق وغير صحيح، فالإسلام لا

ينسب إلى النبي محمد ﷺ وهذه من الأمور السائدة المنتشرة عند عدد من المستشرقين عندما يتحدثون عن **Mohammad anism** أو عندما تترجم الديانة المحمدية، الإسلام لا ينسب إلى الرسول ﷺ وإنما يسمى الإسلام قال تعالى :{**إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللّهِ الإِسْلاَمُ**} ، لكن لو نظرنا إلى محتوى الكتاب لوجدنا أنه اشتمل على أمور كثيرة سوف نتعرف عليها بعد قليل.

كتاب **ريلاند** أثار اهتماماً عظيماً وكبيراً لدرجة إثارة الشبهات حول المؤلِّف لدرجة واتهامه بأنه يريد القيام لعمل دعائي للإسلام في حين أنه لم يكن يقصد إلا الوصول إلى فهم الدين الإسلامي فهماً صحيحاً.

الكنيسة الكاثوليكية أدرجت كتاب **ريلاند** في قائمة الكتب المحظور تداولها، وهذا جعل الكتاب ينتشر ويُترجم إلى لغات عديدة منها الإنجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية والهولندية وغيرها.

وريلاند يذكر أموراً إيجابية كثيرة في كتابه، فيشير في **مقدمة الكتاب** إلى ما تتعرض له كل الأديان باستمرار من جانب خصومها إما بعدم فهمها أو برميها بكل سوء بطريقة غير مناسبة، وقد تعرض الإسلام إلى مثل ذلك من جانب خصومه.

ويشير ريلاند إلى أمر في غاية الأهمية فيقول: "**إن المرء يصح له أن يبحث عن الحقيقة حيثما كانت**"، وهذه من النقاط المهمة والإيجابية؛ البحث عن الحقيقة ومعرفتها، ولهذا يريد **ريلاند** أن يُعرض الإسلام لا كما يظهر من خلال ضباب الجهل وخبث الناس؛ وإنما كما يدرَّس في مساجد المسلمين ومدارسهم، ولا شك أن هذه النقاط التي أشار إليها **ريلاند** في غاية الأهمية؛ فأشار إلى أن الإسلام قد تعرض إلى التشويه والوصف بكل أوصاف السوء من جانب خصومه.

ريلاند في كتابه يطرح أموراً عملية للحركة الاستشراقية فيقول "**بدلاً من الرؤية من خلال ضباب الجهل وخبث الناس؛ ينبغي على المرء بدلاً من ذلك أن يتعلم اللغة العربية -ولو أن المستشرقين تعلموا اللغة العربية ورجعوا إلى مصادر باللغة العربية لعرفوا الإسلام على حقيقته- وأن يسمع محمد (ﷺ) وهو يتحدث يشير إلى السنة النبوية، كما ينبغي على المرء أن يقتني الكتب العربية وأن يرى بعينيه هو وليس بعيون الآخرين**" وهذا أمر في غاية الأهمية وهو منهج التثبت والتأكد، والرؤية من خلال عيني الشخص وليس الاعتماد على عيون الآخرين، وهذا من أكبر إشكاليات الحركة الاستشراقية؛ النقل عن المستشرق السابق، والسابق عمن سبقه، وتصبح المعلومات مغلوطة من بدايتها وتسلسل المعلومات لتصل إلى المستشرق المتأخر، فهو يقترح أن يرى الإنسان بعينيه وليس بعيون الآخرين، يقول "**وحينئذٍ سيتضح له أن المسلمين ليسوا مجانين كما نظن، فقد أعطى الله العقل لكل الناس**"، وفي نهاية هذه الفقرة من كلامه يشير إلى أمر ولغز يحيِّر عدداً كبيراً من العقلاء من الغربيين، يقول: "**وقد كان في رأيي دائماً أن ذلك الدين الذي انتشر انتشاراً بعيداً في آسيا وأفريقيا وفي أوروبا ليس ديناً ماجنا أو ديناً سخيفاً كما تخيَّل كثير من النصارى**"، فلاشك أن **ريلاند** يطرح أمراً في غاية الأهمية وهو أن الدين الإسلامي ينتشر انتشاراً بعيداً ليس في قارة آسيا ولا في قارة أفريقيا، بل في قارة أوروبا، وهذا يؤكد أن الإسلام دين يحمل قوة كامنة فيه تجذب الناس إليه، وأن ما يثار عنه ليس بالصحيح.

هذه الأمثلة من المحاولات الجادة في التعرف على الإسلام عن قرب؛ لم تستطع أن تُرسِّخ في الفكر الأوروبي تياراً عاماً، ولم تستطع بالتالي أن تقضي على الصورة المشوهة للإسلام في أذهان الأوربيين، ومن المؤسف أن الصورة المشوهة بقيت، وأن الذي حدث هو لاشك انفتاح إيجابي، لكن الصورة المغلوطة لازالت باقية ولا زالت عالقة، نحن نؤكد أن الاستشراق في المرحلة الثالثة بدأ يتخفف من أثقال اللاهوت، وأن حدة الاتهامات ضد الإسلام قد خفت، كما أعيد النظر في بعض الاتهامات السابقة، **ولكن هذا الانفتاح الإيجابي كان في محصلته النهائية محدود الأثر.**

المرحلة الثالثة –كما ذكرت– تُعدّ مرحلة ازدهار الاستشراق، ولعل **القرن التاسع عشر والقرن العشرين عصرا الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية**، يؤكد هذا مجموعة من الأمور أبرزها:

- **إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحيَّة** على يد المستشرق **سيلفستر ديساسي** عام ١٢٥٤هـ ١٨٣٨م **القرن التاسع عشر**، والذي أصبح إمام المستشرقين في عصره وإليه يرجع الفضل في جعل باريس مركزاً للدراسات العربية، حيث يؤم تلاميذ من مختلف البلاد الأوروبية ليتعلموا على يديه.
- أيضاً **في القرن التاسع عشر تأسست مجموعة من الجمعيات العلمية** منها **الجمعية الآسيوية الفرنسية** التي تأسست عام ١٢٣٨هـالموافق ١٨٢٢م، وكذلك **الجمعية الآسيوية الملكية البريطانية** التي تأسست عام ١٢٣٩هـالموافق١٨٢٣م، و**الجمعية الشرقية الأمريكية** التي تأسست عام ١٢٥٨هـالموافق ١٨٤٢م .

من الأهداف المشتركة لهذه الجمعيات :الاهتمام باللغات، وجمع المعلومات المتعلقة بالشرق، إجراء الدراسات والبحوث.

يقول الكاتب **سمايلوفيتش**: "بأن تأسيس الجمعيات العلمية تعد الانطلاقة الكبرى للاستشراق، حيث تجمعت فيها العناصر العلمية والإدارية والمالية، فأسهمت إسهاماً فعالاً في البحث والاكتشاف والتعرف على الشرق وحضارته" فلا شك أن مدرسة اللغات الشرقية الحية وكذلك إنشاء الجمعيات العلمية بلاشك ساهمت جميعها في ازدهار الدراسات الاستشراقية.

أيضاً من الأمور المهمة انفصال الاستشراق عن اللاهوت وبذلك تشكل الاستشراق كعلم، انفصال الاستشراق عن اللاهوت ليس معناه عدم وجود علاقة بل العلاقة قائمة ووطيدة لكن الاستشراق انفصل وأصبح علم مستقل، وهكذا يمكن القول كما يذكر المستشرق رودي بارت أن الاستشراق تشكل كعلم في القرن التاسع عشر الميلادي.

- نعود ونلخص وإياكم المرحلة الثالثة:

فقد ذكرنا أنها توصف بأنها مرحلة ازدهار الدراسات الاستشراقية، هناك عامل حاسم ساعد على ازدهار الدراسات الاستشراقية أشرنا إليه فيما يتعلق بظهور النزعة العقلية الجديدة والتي كانت في عمومها مخالفة للكنيسة، فأتيحت الفرصة لظهور بعض الكتابات العامة المعتدلة عن الإسلام والحضارة الإسلامية وذكرنا أمثلة لهذا: **ريتشارد سيمون** وإعجابه بالعادات الإسلامية، و**بيير بايل** وإعجابه بالتسامح الإسلامي، ثم ذكرنا المثال المهم وهو **ريلاند** والذي ألَّف كتاب سمَّاه (الديانة المحمدية)، ذكرنا الإشكالية في الاسم، ثم تحدثنا عن مقتطفات مما ذكره ريلاند في كتابه، ومطالبته بالوصول إلى الحقيقة وكذلك مطالبته بعرض الإسلام من خلال تدريسه من خلال مساجد المسلمين ومدارسهم، وعدم رؤية الإسلام من خلال ضباب الجهل وخبث الناس، ومطالبته بالتثبُّت، ولاشك أن منهج التثبت من المناهج المهمة وهو منهج إسلامي، فهو يطالب بالتثبت وأن المستشرق يرى بعينيه وليس بعيون الآخرين، أشار كذلك إلى نقطة مهمة وهي تعلم اللغة العربية واقتناء الكتب العربية والرجوع إلى المراجع الأصلية وعدم الاعتماد على رؤية الآخرين، أيضاً تحدث عن أمر في غاية الأهمية فيما يتعلق بانتشار الإسلام، وقال أنَّ انتشار الإسلام يتعارض مع الأوصاف التي تلصق ويتهم بها الإسلام.

بعد ذلك تحدثنا أن هذه المحاولات العلمية الجادة لم تستطع أن تغير الصورة المشوهة التي رسختها القرون الوسطى، ولاشك أن نسبة الكتابات الإيجابية في الحركة الاستشراقية زادت في المرحلة الثالثة لكن لا تستطيع أن تغير تاريخاً متراكماً طويلاً، فقد خفت حدة الاتهامات ضد الإسلام وأعيد النظر في بعض الاتهامات السابقة، وحصل انفتاح فكري، لكن هذا الانفتاح محدود الأثر.

تحدثنا أن **القرن التاسع عشر والقرن العشرين** عصرا الازدهار الحقيقي للحركة الاستشراقية ثم ذكرنا العوامل التي أسهمت

في هذا الازدهار وأشرنا إلى **إنشاء مدرسة اللغات الشرقية الحية** على يد **سيلفستر ديساسي** وجهوده في نشر اللغة العربية واستقطاب مجموعة كبيرة من الطلاب من البلاد الأوروبية، وكذلك تحدثنا عن **إنشاء الجمعيات العلمية** وتعليق الكاتب **سمايلوفيتش** فيما يتعلق بهذه الجمعيات العلمية، وفي الختام أشرنا إلى أن الاستشراق انفصل عن اللاهوت **في القرن الثامن عشر** وأشرنا إلى أ ن الاستشراق تشكَّل كعلم في **القرن التاسع عشر** كما يذكر المستشرق **رودي بارت.**

الحلقة (٧)

- **سمات وخصائص الحركة الاستشراقية:**

الحركة الاستشراقية تتسم بمجموعة من السمات وتختص بخصائص أهمها:

السمة الأولى: **أنها دراسات مرتبطة بالتنصير**، ولعلنا ذكرنا عندما تحدثنا عن مراحل تطور الاستشراق؛ ذكرنا بأن الاستشراق بدأ على أيدي قساوسة ورهبان، وأن الاستشراق لم ينفصل عن اللاهوت إلا في القرن **الثامن عشر الميلادي.**

فالمرحلة الأولى والمرحلة الثانية وجزء كبير من المرحلة الثالثة كان هناك ارتباطاً وثيقاً بين الاستشراق وبين التنصير، فلاشك لو نظرنا إلى الارتباط القوي والمتين بين الاستشراق والتنصير لوجدنا أنه يتركز كما ذكرنا في بداية الاستشراق وأيضاً في تطور الاستشراق.

لو نظرنا إلى الحركة الاستشراق لوجدنا مجموعة كبيرة من المستشرقين ينطبق عليهم تعريف الاستشراق وكذلك ينطبق عليهم تعريف التنصير، من أمثال هؤلاء وأبرزهم المستشرق والمُنَصِّر (**صَمْوَيْل زُويمَر S. M. Zweimer**) وكذلك (**جورج سيل George Sale**) (**وماسنيون Massignon**) وغيرهم.

ولو نظرنا إلى المستشرق وإلى المنصِّر لوجدنا أن هناك التقاء بين الاستشراق والتنصير **في أمور عديدة**: في: (الأهداف العامة، في قضية تشويه الإسلام، تشكيك المسلمين فيه، محاولة تضليلهم عنه)، نجد أيضاً أن هناك ارتباطاً بين الاستشراق والتنصّير في قضية (التأهيل) فلابد أن يؤهل المستشرق والمنصّر تأهيلاً جيداً ومناسباً، لابد أن يكون على معرفة وإطلاع بعلم (**اللاهوت**)، لابد أن يكون متعمقاً في الدراسات اللاهوتية، لابد أن يكون **عارفاً وملماً باللغة العربية** على وجه الخصوص **وباللغات الشرقية** على وجه العموم، لاشك أن من سمات الحركة الاستشراقية أنها ترتبط بالتنصير.

السمة الثانية: **أنها دراسات مرتبطة بالاحتلال**، فلا شك أن الاستشراق خدم الاحتلال قبل وقوعه وذلك بتزويده بالمعلومات عن البلاد المراد احتلالها، وخدم الاحتلال أثناء وقوع الاحتلال وذلك بإثارة الشبهات والشكوك والمساهمة في إضعاف مواجهة الاحتلال، وكذلك خدم الاحتلال بعد انتهائه وذلك بتقديم الدراسات والمعلومات والخبرات لدوائر الاحتلال، هناك مجموعة من المستشرقين سخَّروا كل ما لديهم من الإمكانات، كل ما لديهم من المعلومات والدراسات لخدمة الاحتلال، وأسهموا في التوصيات لاتخاذ قرارات لا شك أنها تخدم دوائر الاحتلال.

السمة الثالثة: **أن الاستشراق في الغالب غير ملتزم بالموضوعية والأمانة العلمية في دراسته للشرق، وعلى وجه الخصوص الشرق الإسلامي**، فيلحظ أن الدراسات الاستشراقية كما ذكرنا في الغالب ونحن دائماً نتحدث عن الأغلب، أنها دراسات غير ملتزمة بالموضوعية والأمانة العلمية، ويسعون إلى إثارة الشبهات والشكوك، والحكم على الإسلام دون الرجوع إلى المصادر الأصلية.

إشكالية الاستشراق الحديث أيضا الاعتماد على ما كتبه وما سطَّره عدد كبير من المستشرقين في القرون الوسطى، وتأثير تلك الكتابات العديدة على الحركة الاستشراقية اليوم، ولذلك نجد أن بعض الكتابات الاستشراقية ترديد لما كُتب سابقاً لكن

إخراجه بهيئة جديدة وبشكل جديد.

السمة الرابعة: **أن الدراسات الاستشراقية تساعد في اتخاذ القرارات السياسية في الغرب**، ولاشك أن الغرب في الغالب يبني قراراته السياسية على دراسات، ولاشك أن هذا أمر محمود قضية بناء القرار على دراسات، ولكن الجانب السلبي أن الدراسات في الغالب دراسات غير موضوعية ولا تلتزم بالأمانة العلمية، ولذلك لمَّا يتخذ القرار السياسي بناءاً على دراسات مغلوطة لاشك أن النتيجة تكون غير صحيحة وغير مناسبة، ولذلك نرى أن عدداً من المستشرقين كان لهم إسهام في اتخاذ قرارات سياسية، ومن أبرز هؤلاء المستشرقين المستشرق الهولندي (**سنوك هورجرونج.** Snouck Hurgronje) والذي كان يستشار بانتظام في جميع المسائل المتعلقة ببعض البلاد الإسلامية ولاسيما في جزر الهند الشرقية وما يعرف بأندونسيا، فكان يستشار بانتظام، وكان القرارات تتخذ بناءاً على دراسات وبناءاً على معلومات لدى هذا المستشرق.

السمة الخامسة: **هي الخلط بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض المسلمين المخالفة، واستغلال الوضع المتردي لأحوال المسلمين في العالم الإسلامي**، ولعل هذه السمة من إشكاليات الحركة الاستشراقية، فالحركة الاستشراقية تخلط كثيراً بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض المسلمين، ولاشك أن هناك فرقاً وهناك اختلافاً جوهرياً وأساسياً بين واقع الناس وبين الإسلام من خلال مصادره، فنحن المسلمون عندما ننظر للإسلام ننظر إليه من خلال مصادره (**القرآن الكريم - السنة النبوية - فهم السلف الصالح**) وينظر إلى الإسلام كما ذكرت من خلال المصادر، لكن لا ينظر إلى الإسلام من خلال ممارسات المسلمين، لأن ممارسات المسلمين قد تقترب من الإسلام وقد تبتعد عن الإسلام، **وأعمال المسلمين وأفعالهم ليست حجة على الإسلام**، فالإسلام حجة عليها ولا شك أن هناك لدى الحركة الاستشراقية خلطاً كبيراً بين الإسلام كدين وبين ممارسات بعض المسلمين، نحن نقر ونعترف بأننا في ممارساتنا على حسب الناس وفئاتهم فقد يقربون من الإسلام كثيراً وقد يبتعدون عن الإسلام في ممارساتهم، لكن الإسلام ننظر إليه من خلال مصادره من خلال (**القرآن الكريم -السنة النبوية- فهم السلف الصالح**) ولا ننظر إلى الإسلام من خلال ممارسات الناس، فلاشك أن الحركة الاستشراقية تقع في إشكالية كبيرة وهو عدم التفريق بين الإسلام كدين وبين ممارسات المسلمين للإسلام، ولاشك أن هذه هي من إشكاليات الحركة الاستشراقية.

السمة السادسة: **السعي إلى تطبيق المعايير والمفاهيم النصرانية على الإسلام**، ولذلك إشكالية لدى الحركة الاستشراقية وهي من سماتها أنها تنظر إلى الإسلام بمعايير ومقاييس نصرانية، ولعلنا نوضح هذا الأمر بكتابة أحد الغربيين، المثال الأول أحد المستشرقين عندما تحدث وعمل مقارنة بين أعياد المسلمين وأعياد النصارى فعندما تحدث عن أعياد المسلمين ذكر عيد رمضان وذكر عيد الأضحى ثم ذكر رأس السنة بناءاً على مقاييس نصرانية أن النصارى يحتفلون برأس السنة، فلا شك وضع هذا من ضمن الأعياد، ونحن نعلم بأن هذا ليس من الأعياد إطلاقاً وإنما العيدين المعروفين عند المسلمين عيد الفطر وعيد الأضحى، أما الاحتفال برأس السنة فهو ليس موجوداً عندنا في الإسلام، وهنا طبق المعايير والمقاييس النصرانية فذكره عيداً عند المسلمين، وهذا أيضاً ينطبق على الاحتفال بالمولد عندما ذكره من ضمن الأعياد بناءاً على الاحتفال بما يسمى (بالكريسمس)، فذكره من ضمن أعياد المسلمين وهذا ليس من ضمن الأعياد للمسلمين، ولكن انطلق من معايير ومقاييس نصرانية في هذا الجانب، أيضا المثال الثاني فيما يتعلق بتطبيق المقاييس والمفاهيم النصرانية دعوة لويس التاسع إلى جعل مفهوم الإسلام شبيه بمفهوم النصرانية القائم على أن الدين علاقة بين الله والإنسان فقط، لاشك أن هذه سمة من سمات الحركة الاستشراقية وهو تطبيق المعايير والمقاييس النصرانية في حديثهم عن الإسلام.

السمة السابعة: **أن الدراسات الاستشراقية تسعى إلى تفرقة المسلمين**، تسعى إلى تشجيع التفرقة بين المسلمين، تسعى إلى إبراز الفِرَق الضالة، تسعى إلى إحياء بعض الفِرَق الضالة والحديث عنها، فمثلاً نجد أن هناك اهتماماً من الحركة الاستشراقية **بالحلاّج وبتراثه**، أيضاً **الفكر الاعتزالي**، السعي إلى إثارة الخرافات وتشجيعها ومحاولة إبرازها، ولعلي أذكر فيما يتعلق بهذا الأمر كلاماً لأحد المستشرقين وأبرزهم وهو المستشرق المَجَري **(جولد زيهر. Goldziher)** في كتابه "دراسات إسلامية" عندما تحدث عن تمجيد الأولياء والصالحين تحدث عن قضية وهي تتعلق بزيارة القبور والطواف حولها وكلامه في هذا الجانب، وهو محاولة لتمجيد الخرافات وإبرازها وإظهارها، لأن إبراز الخرافات وتمجيدها وإظهارها لاشك أنه يخدم الحركة الاستشراقية، ويحدث إشكاليات لدى المجتمعات المسلمة، فنجد هناك تركيزاً في كتابات عدد من المستشرقين على الفِرَق المنحرفة، وأيضاً الخرافات وتمجيدها والسعي إلى إخراجها وإبرازها، هذا فيما يتعلق بأبرز سمات الحركة الاستشراقية.

لعلنا نلخص هذه السمات وكما ذكرنا بأنها سبع سمات:

السمة الأولى: **أنها دراسات مرتبطة بالتنصير**، وذكرنا أن الاستشراق بدأ على أيدي قساوسة ورهبان، وأنه لم يتخلص ولم ينفصل عن اللاهوت إلا في **القرن الثامن عشر**، وحتى بعد انفصاله لا تزال العلاقة قائمة ووطيدة بين الاستشراق وبين التنصير.

السمة الثانية: **أنها دراسات مرتبطة بالاحتلال**، فتحدثنا عن ارتباط الاستشراق بالاحتلال وأن الاستشراق خدم الاحتلال قبل وقوعه وأثناء وقوعه وبعد وقوعه، وكما أيضاً أن الاحتلال أغدق الأموال الطائلة على المستشرقين، وساعد على تقدم الدراسات الاستشراقية، ودعم الجمعيات الاستشراقية التي سعت إلى تقدم وتطور الدراسات الاستشراقية.

السمة الثالثة: **أنها دراسات في الغالب تفتقد الموضوعية والأمانة العلمية**، وهذه لو نظرنا إلى أغلب كتب المستشرقين لوجدنا أنها تبتعد عن الموضوعية والأمانة العلمية في حديثهم عن الشرق عامة ولاسيما الشرق الإسلامي، ولذلك يركزون على قضايا معينة من الإسلام مثل **(إقامة الحدود وتعدد الزوجات)** ويتحدثون عنها أيضا بشكل غير موضوعي وغير منصف.

السمة الرابعة: **قلنا بأنها دراسات تسهم في اتخاذ قرارات سياسية** وقلنا أن الغرب في الغالب عندما يتخذ قرارات يبنيها على دراسات واستشارات في الغالب تقدم من قبل المستشرقين.

السمة الخامسة: **أن الاستشراق يخلط بين الإسلام كدين وبين ممارسات المسلمين للإسلام**، فتوجد بعض الممارسات من بعض المسلمين مخالفة لتعاليم الإسلام، والاستشراق يخلط كثيراً بين الإسلام كدين وبين ممارسات المسلمين، ونحن ننظر إلى الإسلام كدين من خلال مصادره **القرآن الكريم والسنة النبوية والسلف الصالح وفهمهم للإسلام**.

السمة السادسة: **تطبيق المعايير والمقاييس والمفاهيم النصرانية على الإسلام** في حديثهم عندما يتحدثون عنه وعندما يكتبون عنه، فنجد أن المفاهيم النصرانية مهيمنة ومسيطرة على عقولهم، وذكرنا أمثلة فيما يتعلق في هذا الجانب.

السمة السابعة والأخيرة: **أن الحركة الاستشراقية تركز على الدراسات التي تسعى إلى التفرقة بين المسلمين**، الدراسات التي تشجع على **إبراز الفرق المخالفة**، الدراسات التي تشجع على **إبراز الخرافات**، كل هذه بلا شك تخدم المصالح الاستشراقية.

الحلقة (٨)

- **دوافع الاستشراق**

أهمها أولاً: الدافع الديني: وهو أهم الدوافع الاستشراقية على الإطلاق، لو أردنا أن نعطيه نسبة لأعطيناه نسبة كبيرة جداً نسبة عالية. الدافع الديني فهو أهم الدوافع الاستشراقية على الإطلاق، لقد بدأ الاستشراق كما ذكرنا على أيدي قساوسة ورهبان، لم

ينفصل الاستشراق عن اللاهوت إلا في القرن الثامن عشر، في نهاية المرحلة الثالثة من مراحل تطور الاستشراق، ولكن بعد انفصاله بقيت العلاقة قوية ووطيدة بينهما، لقد سعى القساوسة والرهبان إلى تشويه الإسلام ولاسيما بعد فشل الحروب الصليبية، فلا شك أن فشل الحروب الصليبية جعل القساوسة والرهبان يتوجهون إلى وسيلة مناسبة فرأوا أن حرب الكلمة أن التشويه هي الوسيلة المناسبة، أن التشويه الطريق في نظرهم المناسب لإيقاف المد الإسلامي وبخاصة لما رأوا أن الإسلام ينتشر انتشاراً سريعاً وينتشر في أماكن كثيرة.

لقد أوصى مؤتمر فينَّا الكنسي المعقود في القرن الرابع عشر الميلادي باتخاذ قرار بإنشاء عدد من كراسي اللغة العربية في عدد من الجامعات الغربية، وبعد هذا القرار بدأ الغرب يهتم بدراسة الشرق ولغاته على وجه العموم؛ والشرق الإسلامي واللغة العربية على وجه الخصوص، ولذلك اهتموا بدراسة الشرق الإسلامي سواءً فيما يتعلق بالمعتقد أو فيما يتعلق بالحضارة أو فيما يتعلق بالنظم أو فيما يتعلق بالثقافة أو فيما يتعلق بالأمور الأخرى، فلاشك أن الدافع الديني كان محرِّضاً لدراسة الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص، هذا فيما يتعلق بالدافع الأول وهو الدافع الديني، وكما ذكرت هو أهم الدوافع على الإطلاق.

ثانياً: الدافع الاستعماري: ويأتي في المرتبة الثانية بعد الدافع الديني، ولاشك أنه بعد انتهاء الحروب الصليبية بهزيمة الصليبيين؛ لم ييأس الغرب من احتلال العالم الإسلامي أو السعي لاحتلال العالم الإسلامي، فاتجهوا إلى دراسته، اتجهوا إلى التعرف على مواطن القوة وكذلك التعرف على مواطن الضعف، سعى الاستشراق إلى خدمة الاستعمار سواءً كان قبل وقوعه وذلك بتزويده بالمعلومات عن الشعوب المراد احتلالها، أو أثناء وقوعه وذلك بتقديم الدراسات للسعي إلى إثارة الشبهات والشكوك، وكذلك سعى بعد وقوع الاحتلال والاستعمار وكذلك بعد انتهائه بتقديم الدراسات والخطط للدوائر الغربية، لاشك أن هناك علاقة وطيدة بين الاستشراق وبين الاحتلال، وأُغدقت أموال طائلة على الحركة الاستشراقية، وأعطيت فرصاً كثيرة لاستكمال دراسة الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص، وهو يأتي كما ذكرنا سابقاً في المرتبة الثانية بعد الدافع الديني.

ثالثاً: الدافع التجاري: من دوافع الاستشراق الدافع التجاري الذي كان له الأثر في دفع الحركة الاستشراقية والتعامل مع الأقطار الشرقية، وكان له أيضاً دور في الاهتمام بالبضائع وترويجها وشراء المواد الخام، ولذلك كانت الحاجة ماسة للتعرف على البلاد الشرقية والسفر إليها، والتعرف على جغرافية الشرق، ولذلك أُنشأت عدد من الجمعيات الجغرافية التي قامت بإجراء دراسات فيما يتعلق بالجغرافيا والتعرف على المصالح الغربية، ولعلنا ذكرنا -عندما تحدثنا عن مراحل تطور الاستشراق- أشرنا أن من أهداف إنشاء كرسي اللغة العربية في جامعة (**كيمبرج.Cambridge**) كان من ضمن الأهداف هدف تجاري وهو يتعلق بتوسيع التجارة مع الأقطار الشرقية كما ذكر مؤسس الكرسي، فلا شك أن الدافع التجاري من ضمن الدوافع الاستشراقية للتعرف على البلاد الشرقية لإجراء دراسات لمعرفة جغرافية الشرق، لذلك اهتمت الجمعيات الجغرافية اهتمت بالمغامرات، اهتمت بالاستكشافات الجغرافية، حرصت على إبراز المنافع من تلك الاستكشافات، حرصت على معرفة طبيعة الدول الشرقية وكيفية الإفادة مما هو موجود من المواد الخام أو غيرها من الأمور التي كانت البلاد الغربية بحاجة ماسة ومحتاجة إلى الروابط والعلاقات التجارية مع الأقطار الشرقية.

رابعاً: الدافع العلمي: فلا شك أن من دوافع الاستشراق دافع علمي، ونحن لا ننكر بأن هناك مجموعة من المستشرقين حرصت على دراسة الشرق وبخاصة الشرق الإسلامي بدافع حب الإطلاع على حضارات الأمم، التعرف على ثقافات الشرق،

لا شك أن هذه الفئة من المستشرقين أقل أخطاءً من غيرهم، نعم قد يقعون في الأخطاء ولكنهم أقل من غيرهم، يقعون في الأخطاء بسبب جهلهم باللغة العربية وبسبب عدم معرفتهم بالإسلام، ولكنهم أقل خطأً وإذا تبين الخطأ لهم يعودون إلى الصواب، فأحد المستشرقين وهو المستشرق الألماني **(رودي بارت.Rudi Paret)** يتحدث عمن توجه إلى الاستشراق بدافع علمي ولاسيما في **القرن التاسع عشر الميلادي** يقول **(رودي بارت.Rudi Paret)**: "إننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة" هذا بلا شك كلام **(رودي بارت. Rudi Paret)** عن مجموعة من المستشرقين الذين توجهوا إلى الاستشراق بدافع علمي محض، فلاشك أنهم في دراساتهم في تقصيهم للحقائق في بحوثهم يسعون إلى البحث عن المعلومة الصحيحة، يسعون إلى البحث عن المعلومات الدقيقة، لا يسعون إلى أي نوايا جانبية أخرى، هذا بلا شك ما ذكره المستشرق الألماني **(رودي بارت. Rudi Paret)**.

ونقول لو أن أغلب الحركة الاستشراقية توجهوا إلى دراسة الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص بدافع علمي محض؛ لا شك أن الكتابات الاستشراقية ستصبح كتابات أقرب إلى الموضوعية، أقرب إلى الإنصاف، سوف تحرص على التعرف على الشرق عامة والشرق الإسلامي عن قرب، بلا شك لن يكون هناك أي تأثيرات سلبية على النتائج التي سوف تتوصل لها الحركة الاستشراقية.

وكما ذكرنا وأشرنا بأن مجموعة من المستشرقين -هي ليست مجموعة السواد الأعظم ولكن نسبة قد تتفاوت من فترة إلى أخرى، ولكننا لاحظنا أنه في المرحلة الثالثة من مراحل تطور الاستشراق أتيحت الفرصة لظهور بعض الكتابات التي فيها اعتدال فيها حيادية فيها موضوعية أفضل وأكثر من المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق، وأيضاً أفضل من المرحلة الثانية من مراحل تطور الاستشراق، وذكرنا للدافع العلمي يؤكد على قضية الموضوعية في الطرح وفي النظر إلى الحركة الاستشراقية- فنحن لا ننكر بأن هناك مجموعة من المستشرقين اتجهت إلى الاستشراق بدافع علمي، <u>وأن من توجه إلى الاستشراق بدافع علمي كانوا أكثر موضوعية وأكثر إنصافاً وأكثر حيادية من غيرهم</u>، <u>لكن المؤسف أن كتاباتهم لم تنجح في تغيير الصورة المشوهة عن الإسلام</u> ولاسيما أن حجم الكتابات المشوهة أكبر من حجم الكتابات العلمية، هذه أهم وأبرز دوافع الإستشراق.

<u>ولعلنا في نهاية هذه الحلقة نذكر ونلخص هذه الدوافع:</u>

الدافع الأول وقلنا بأنه أهم الدوافع وأبرزها على الإطلاق وهو **الدافع الديني**:

ولعلنا ذكرنا أن الاستشراق بدأ على أيدي قساوسة ورهبان، وأن الاستشراق لم يتخلص من ارتباطاته ومن ثقل اللاهوت إلا في **القرن الثامن عشر**، وأيضاً بعد انفصاله وتخلصه من اللاهوت إلا أن العلاقة بقيت قوية وبقيت وطيدة، وأشرنا إلى سعي القساوسة والرهبان إلى تشويه الإسلام، وتحدثنا أيضاً عن فشل الحروب الصليبية وتوجه القساوسة والرهبان إلى حرب وصفوها بأنها <u>حرب الكلمة</u> والتي يعد الاستشراق جزءًا منها، ولذلك اتجهوا إلى دراسة الشرق الإسلامي والاهتمام به وإنشاء كراسي لتعليم اللغة العربية باعتبار أن اللغة هي المفتاح الرئيس للتعرف على عقائد وحضارات أمم الشرق عامة وعلى الحضارة الإسلامية على وجه الخصوص، وكذلك على العقيدة الإسلامية وغيرها من الأمور المرتبطة بالإسلام.

الدافع الثاني ذكرت بأنه يأتي في الأهمية بعد الدافع الأول وهو **الدافع الاستعماري**:

فبعد هزيمة الصليبيين في الحروب الصليبية رغب الغرب في العودة إلى احتلال العالم الإسلامي ولذلك سعوا إلى دراسته والتعرف عليه، والاستشراق قدم كل ما لديه من معلومات للدول الاستعمارية سواءً كان ما قبل فترة الاستعمار أو أثناء فترة

الاستعمار أو ما بعد فترة الاستعمار، وأيضاً في الجانب الآخر أغدق الاستعمار على الاستشراق ودعم الاستشراق وأعطاه فرصاً عديدة لإجراء الدراسات والبحوث حول الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص.

الدافع الثالث وهو **الدافع التجاري**:

هو أقل أهمية من الدافع الديني وكذلك الدافع الاستعماري ولكنه من الدوافع التي دفعت الاستشراق إلى دراسة الشرق وإلى التعرف على الشرق وإلى كيفية التعامل مع الأقطار الشرقية فيما يتعلق بترويج البضائع والحصول على المواد الخام والتعرف على البلاد الشرقية ودراستها، وذكرنا بأنها أنشئت عدد من الجمعيات الجغرافية لخدمة هذا الجانب وأشرنا إلى ما ذكره مؤسس الكرسي في جامعة (**كيمبرج. Cambridge**) عندما تحدث عن الكرسي وعن أهداف إنشائه، وذكر من ضمن الأهداف الهدف التجاري وذلك بتوسيع العلاقات التجارية مع الأقطار الشرقية.

نختم حديثنا **بالدافع الرابع الدافع العلمي**: فلاشك أن هناك مجموعة من المستشرقين اتجهت إلى دراسة الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص برغبة التعرف على حضارات الأمم وثقافتها، وأشرنا في هذا الجانب إلى مقولة المستشرق الألماني(**رودي بارت.Rudi Paret**) لمن توجه إلى الاستشراق بدافع علمي هذا الدافع العلمي برز متأخراً في **القرن التاسع عشر** حيث ذكر (**رودي بارت.Rudi Paret**) وقال: "إننا في دراساتنا لا نسعى إلى نوايا جانبية غير صافية بل نسعى إلى البحث عن الحقيقة الخالصة".

الحلقة (٩)

- **أهداف الاستشراق**

هناك التقاء بين الدوافع وبين الأهداف، ولكن البعض ينظر إلى أن الدافع محرض نفسي للوصول إلى الهدف، من خلال الوسائل التي سوف نتحدث منها في حلقة قادمة.

أهم أهداف الاستشراق:

الهدف الأول: من أهداف الاستشراق (الهدف الديني) وهو أهم أهداف الاستشراق على الإطلاق، وهذا الهدف يمكن إيجازه في النقاط التالية:

١- التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلهي، فالحركة الاستشراقية في جزء كبير من كتاباتها يسعون إلى التشكيك، ومن النقاط التي طرحتها التشكيك بصحة رسالة النبي محمد ﷺ ومصدرها الإلهي.

٢- زعمهم وادّعائهم ببشرية القرآن الكريم، وهم حرصوا على هذه المقولة وهذا الزعم لأنهم يعرفون أنهم إذا استطاعوا الإساءة والتشويه وزعزعة اعتقاد المسلمين فيما يتعلق بالقرآن الكريم؛ فاستطاعوا أن يحققوا نتيجة ملموسة، ولو نظرنا فيما يتعلق ببشرية القرآن لوجدنا أن المستشرقين عامة والمستشرقين اليهود على وجه الخصوص يتحدثون عن بشرية القرآن وعن تأثر القرآن بما ورد في التوراة، وما ورد في الإنجيل.

٣- التشكيك في صحة الأحاديث النبوية، فسعت الحركة الاستشراقية في عدد من كتاباتها من خلال مجموعة من الكتاب إلى التشكيك في صحة الأحاديث النبوية، وحاولوا التذرع بما دخل على الأحاديث النبوية من وضع، ودس، وتحريف، من أبرز المستشرقين الذين سعوا إلى التشكيك في صحة الأحاديث النبوية المستشرق (**قولد زيهر**) وذلك من خلال كتابه "دراسات إسلامية" حاول أن يشكك في صحة الأحاديث النبوية ونحن نعلم جميعا أن علماء المسلمين وقفوا بالمرصاد لكل الكتابات المغرضة، ومنها الكتابة فيما يتعلق بالتشكيك في صحة الأحاديث النبوية، ونحن نعلم أيضا بأن هناك علم الجرح

والتعديل تتبع السند وتتبع المتن، وأن المسلمين أخرجوا الأحاديث الموضوعة والمكذوبة وبينوا الأحاديث الصحيحة.

٤- التشكيك بقيمة الفقه الإسلامي وأنه مستمد من الفقه الروماني، ونحن نعلم بكذب هذه الدعوى وأن الفقه الإسلامي مستقل وأنه استنباط للأحكام من الأدلة التفصيلية.

٥- سعوا إلى التشكيك في قدرة اللغة العربية على مسايرة التطور، ولذلك دعوا إلى اللهجات ودعوا إلى إحلال اللغات بدلا من اللغة العربية، ونحن نعلم ببطلان هذه الدعوى، فاللغة العربية لغة قادرة على مسايرة التطور، ولا شك أنها تمتاز بمزايا عديدة على عدد كبير من اللغات.

٦- تشكيك المسلمين بقيمة تراثهم الحضاري وزعموا أن الحضارة الإسلامية مستمدة من الحضارة الرومانية، ونحن نعلم بأن الحضارة الإسلامية امتازت بمزايا عديدة، وأنها لا صلة لها وأنها لم تستمد من الحضارة الرومانية.

٧- إضعاف ثقة المسلمين بكل ما هو موجود لديهم، فحاولوا تزهيد المسلمين بكل ما هو موجود لديهم من عقيدة وقيم، فسعوا إلى تشويه العقيدة الإسلامية، سعوا إلى إضعاف ثقة المسلمين بقيمهم، محاولة تلميع وإبراز ما هو موجود لدى الغرب، وأنه هو المناسب، وهنا لا بد أن نفرق بين التقدم التقني والتقدم المادي الذي بلا شك موجود لدى الغرب، ونحن نحرص على أن نستفيد منه وأن نقتبسه وننقله إلى البلاد العربية والإسلامية، ولا شك أن التقدم المادي والتقدم التقني لا يُربط بما هو موجود لدى الغرب من عقائد أو قيم أو مُثل، فنعم ممكن نأخذ الجانب المادي والتقني ولكن لا يصح لنا أن نأخذ الجوانب الأخرى، وهم الذين بحاجة إلى أن نبين لهم قيمنا لأنهم بحاجة إلى عقيدتنا السمحة الصافية، لكن نحن لسنا بحاجة إلى أن نأخذ المعتقد أو نأخذ القيم من عندهم، نحن نأخذ التقدم المادي والتقدم التقني، ولا نربطهما بما هو موجود لديهم من قيم أو مثل.

٨- إضعاف الأخوة الإسلامية بين المسلمين وذلك بإحياء القوميات وإحياء النعرات، ولا شك أن سياسة "فرق تسد" ينادى بها فلا بد أن نحرص على الاعتزاز بمبدأ الأخوة الإسلامية وأن نبتعد عن القوميات والنعرات التي تخالف الإسلام.

هذا بما يتعلق بالهدف الأول وهو الهدف الديني وكما ذكرت أنه هو أهم أهداف الحركة الاستشراقية.

الهدف الثاني: **هدف سياسي** فالاستشراق يهدف إلى خدمة الدوائر السياسية، ويقدم الدراسات التي تخدم الغرب وتخدم قراراته، يقول الكتاب **إدوارد سعيد** في كتابه الاستشراق: (إن الاستشراق يمكن أن يناقش ويحلل بوصفه مؤسسة التعامل مع الشرق وإصدارات حول الشرق، وكذلك إجازة الآراء فيه وإقرارها) نجد أن الحركة الاستشراقية تخدم وتحقق أهداف سياسية فيما يتعلق بالغرب، وهو إخضاع الشرق للغرب إخضاع فكري وأيضا هناك تبعية فكرية ولا شك أنها تتبعها بلا شك تبعية سياسية.

الهدف الثالث: **هدف علمي محض** مجموعة من المستشرقين اتجهوا إلى الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص للتعرف على عقائده وحضاراته وتراثه، وكما ذكرنا هذه الفئة من المستشرقين أسلم الفئات الاستشراقية وأقلها خطأً، وإن كانت تقع في الأخطاء ولكنها أقل ؛ وسرعان ما يرجعون إلى الحق إذا تبين لهم.

ونريد أن نذكر أن فئة من المستشرقين ممن توجه إلى الاستشراق بدافع علمي محض قبل بالإسلام ومن أبرزهم **محمد أسد** كتب كتابات بعد إسلامه وقام بترجمة معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية، والكاتبة **مريم جميلة** فلا شك أن هناك مجموعة من المستشرقين الذين توجهوا إلى الاستشراق بدافع علمي محض وقبِل بالإسلام، وكتب كتابات منصفه وموضوعية وذكرنا منهم **محمد أسد ومريم جميلة.**

في الغالب من يتوجه إلى الاستشراق بدافع علمي محض في الغالب كتاباتهم كتابات حيادية وموضوعية أكثر من غيرهم، ومن أبرزهم المستشرق **(هادريان ريلاند)** تحدثنا عنه في مراحل تكون الاستشراق كان في كتابه طرح بعض النقاط الموضوعية والمهمة فيما يتعلق بنظرية الاستشراق إلى الإسلام وإلى المسلمين.

الهدف الرابع والأخير: هدف ثقافي ولا شك أن من أهداف الاستشراق نشر الثقافة الغربية من خلال النظرة الفوقية التي ينظر بها الغرب إلى الشعوب الشرقية بعامة والشعوب الإسلامية بوجه خاص، فهم يسعون إلى نشر الثقافة ونشر المفاهيم الغربية، هم يسعون إلى ذلك باعتبار أنها هي الثقافة المهيمنة العالية المسيطرة الثقافة المناسبة، ولذلك حرصوا على الاهتمام باللغات الغربية وبتعليمها باعتبار أن اللغة تحمل ثقافة وأن اللغة وسيلة للحصول على الثقافة والحصول على المعرفة.

أيضا بما يتعلق بالهدف الثقافي سعوا إلى إضعاف اللغة العربية، والدعوة إلى العامية باعتبار أنها تخدمهم بحيث عندما تضعف اللغة العربية تتجه الأنظار إلى اللغات الأخرى، ويستطيعون من خلالها نشر الثقافة، أيضا قامت هذه الحركة أيضا بنشر المفاهيم الغربية فسعوا إلى نشر المفاهيم الغربية وعولمتها، وإيصالها إلى البلدان الشرقية عامة والبلاد الإسلامية على وجه الخصوص، لا شك أن الهدف الثقافي من الأهداف الهامة والبارزة التي تسعى الحركة الاستشراقية إلى تحقيقها وإلى نشرها وإلى إيصالها إلى الشرق عامة، يحرصون على المفاهيم الغربية ونشرها وإيصالها، ولعل وسائل الإعلام الآن تساعد الحركة الاستشراقية في نشر المفاهيم الغربية، مثلا **من هذه المفاهيم** مفهوم التخويف من الإسلام **(إسلام فوبيا)** يسعون إلى التخويف من الإسلام ومحاولة نشر هذا المفهوم، هذه أهم أهداف الحركة الاستشراقية.

ولعنا في نهاية هذه الحلقة نلخص ونوجز أهداف الاستشراق:

الهدف الأول: الهدف الديني وذكرنا بأنه أهم أهداف الاستشراق على الإطلاق، وذكرنا مجموعة كبيرة من النقاط، لتلخيص ما يتعلق بالهدف الديني سواء ما طرحوه بـ:

١. التشكيك بصحة رسالة النبي ﷺ ومصدرها الإلاهي.
٢. التشكيك بالأحاديث النبوية وصحتها.
٣. التشكيك في الفقه الإسلامي.
٤. التشكيك في اللغة العربية.
٥. التشكيك في الحضارة الإسلامية.
٦. السعي إلى إضعاف ثقة المسلمين بكل ما هو موجود لديهم من عقيدة وقيم.
٧. إضعاف الأخوة الإسلامية، ونجد هنا تركيز على القرآن والسنة النبوية وهم يعرفون أنهما هما المصدران المهمان الرئيسيان لذلك اهتموا بهما كثيرا وكتبوا عنهما كتابات متعددة، واهتموا بترجمة معاني القرآن وإثارة الشبهات حوله وكذلك السنة النبوية، يعرفون أنهم إذا استطاعوا هدم وتشويه القرآن أو السنة النبوية استطاعوا هدم الإسلام.

الهدف الثاني: الهدف السياسي وفيما يتعلق بخدمة الدوائر السياسية، وتقديم الدراسات التي تخدم الغرب وقراراته، وتحدثنا عن كلام **(إدوارد سعيد)** فيما يتعلق بالجانب السياسي.

الهدف الثالث: الهدف العلمي المحض ومن باب الإنصاف والموضوعية نشير أن المستشرقين اتجهوا إلى دراسة الشرق بهدف علمي، وأن هذه الفئة من أقلها خطأ وإن كانوا يقعون في الخطأ، وذكرنا بأن مجموعة من هذه الفئة التي اتجهت إلى الاستشراق بدافع علمي محض قبلت بالإسلام، وكتبوا كتابات فيها حيادية وموضوعية وإنصاف، وذكرنا أمثلة فيما يتعلق بهذا الجانب.

الهدف الرابع: الهدف الثقافي من خلال نشر الثقافة الغربية ومن خلال النظرة الفوقية التي ينظر بها الغرب وينظر بها الاستشراق إلى الشعوب الشرقية، تحدثنا عن نشر اللغات الغربية والاهتمام بها وتعليمها، أيضا إضعاف اللغة العربية والدعوة إلى العامية، والنقطة الأخيرة تحدثنا عن نشر المفاهيم الغربية سواء كان من خلال الحركة الاستشراقية أو من خلال تجسيد ما يطرحه عدد كبير من المستشرقين في وسائل الإعلام وطرحه بصورة جديدة وطرقه بحيث تصل المفاهيم إلى عدد كبير من أبناء شعوب الشرق عامة والشرق الإسلامي على وجه الخصوص.

الحلقة (١٠)

وسائل الاستشراق والمستشرقين لتحقيق أهدافهم

الوسيلة الأولى: تأليف الكتب فهذه الوسيلة الأولى، وهي من أهم وسائل الاستشراق، فمن خلال تأليف الكتب في موضوعات مختلفة عن الإسلام وعن الرسول ﷺ وكذلك عن القرآن الكريم، ولو نظرنا إلى هذه الكتابات لوجدنا أن فيها بعض التحريف المتعمد عن الإسلام، ولذلك يقول المستشرق **إدوارد سعيد** والكاتب المعروف في كتابة "الاستشراق" يقول "لقد بلغ عدد ما ألفوه عن الشرق في قرن ونصف منذ أوائل القرن التاسع عشر حتى منتصف القرن العشرين ستين ألف كتاب" بلا شك أن مقولة **إدوارد سعيد** تبين لنا حجم الكتابات المتعددة المتنوعة الكثيرة عن الشرق عامة، ولا شك أن الكتابات عن الشرق الإسلامي بلا شك أنها تحظى بنسبة كبيرة من هذه الكتابات، فلعل الوسيلة الأولى كما أشرنا من أهم الوسائل الاستشراق على الإطلاق.

الوسيلة الثانية: التعليم في الجامعات الغربية ففي الفترة الأخيرة [بعد انفصال الاستشراق عن اللاهوت] انحصر الاستشراق في المؤسسات التعليمية والأكاديمية، وأصبح عدداً كبيراً من المستشرقين يعملون في الجامعات الغربية وفي الأقسام التي تعنى بدراسة الشرق الأوسط أو الشرق الأدنى أو أقسام التاريخ أو الأديان أو غيرها من الأقسام، وهم يتمركزون في الجامعات ويقومون بالتعليم وكذلك بالإشراف على الطلاب والجهود التي يبذلونها من خلال الجامعات والمؤسسات التعليمية، فلا شك أن من خلال التعليم في الجامعات الغربية من خلال الإشراف على الرسائل العلمية؛ يستطيعون نشر الفكر الاستشراقي، فالتعليم في الجامعات الغربية يعد من وسائل الاستشراق.

الوسيلة الثالثة: الترجمة: نقصد بالترجمة **الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية،** فلقد اهتموا بالترجمة ونقلوا مجموعة من العلوم والمعارف ابتداءً من ذهابهم إلى الأندلس ثم استمرت الترجمة والاهتمام بها، ولعلنا ذكرنا أقدم ترجمة لمعاني القرآن الكريم كانت إلى اللغات اللاتينية ثم بعد ذلك خرجت ترجمات أخرى لمعاني القرآن الكريم مثل ترجمة "**جورج سيل**" "**إربري**" وأيضا من الكتب التي قاموا بترجمتها **تاريخ الطبري** قاموا بترجمته من العربية إلى الإنجليزية، وسلكوا مسلكاً في تقسيم أعمال الترجمة إلى صفحات محدودة، وقاموا بإعطاء مجموعة من الصفحات في حدود السبعين إلى المائة لشخص لترجمتها، ثم جمعوا كل ما ترجم وشكلوا لجنة للنظر فيه، ثم بعد ذلك طبع واستغرق ترجمة تاريخ الطبري منهم حوالي سنتين، فلا شك أن الترجمة وسيلة من وسائل نشر الفكر الاستشراقي، وبلا شك أنهم أفادوا منها لا سيما في المرحلة الأولى من مراحل تطور الاستشراق في نقل العلوم والمعارف والمناهج العلمية الإسلامية من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية المختلفة.

الوسيلة الرابعة: إنشاء الموسوعة المعروفة بدائرة المعارف الإسلامية ما يعرف **(Encyclopedia of Islam)** هذه الموسوعة دائرة المعارف أصدروها بلغات عدة، صدرت باللغة الإنجليزية واللغة الألمانية وغيرها من اللغات، والموسوعة

أصبحت مرجعاً علمياً لعدد من الطلاب في الدول الغربية وأيضاً لعدد من المثقفين، ولا شك أنّ هذه الموسوعة حشد لها عدد كبير من المستشرقين، وأسند كل مادة إلى مستشرق فكتب فيها، ثم في الغالب أنها تذيل بقائمة من المصادر والمراجع لمن يريد الحصول على معلومات أطول وأوسع فيما يتعلق بالمادة التي كتب فيها المستشرق، هذه الموسوعة رتبت كما ذكرت ترتيباً أبجدياً واستطاعوا إصدارها بلغات عدة، وهم وصلوا إلى نهاية الأحرف باللغة الإنجليزية، هناك موسوعة مختصرة تعرف "بمختصر دائرة المعارف" أو بما يعرف (**Encyclopedia of Islam**) صدرت وهي متكاملة لكن موسوعة مختصرة.

الموسوعة أو دائرة المعارف الإسلامية تعد من أخطر وسائل الاستشراق، وذلك لأن كما ذكرنا لسهولة الرجوع إلى المعلومة المطلوب الحصول عليها ولتيسيرها لعدد من الطلاب وأيضا لعدد من الباحثين والدارسين، وهي تقدم معلومات مختصرة موجزة عن مادة من المواد المحددة من قبل اللجنة المسؤولة عن الموسوعة، بلا شك كما ذكرت أن هذه دائرة المعارف والموسوعة تعد من أخطر وسائل الاستشراق ترجمت إلى اللغة العربية، ترجمة مع الأسف بدون تعليق وبدون إيضاح للأخطاء التي وقعت فيها الموسوعة، لا شك أن المواد التي كتبت في الموسوعة تحتوي على معلومات صحيحة وتحتوي على معلومات مغلوطة، فالموسوعة الاستشراقية أو ما يعرف بدائرة المعارف الإسلامية كما ذكرت تعد من أخطر وسائل الاستشراق على الإطلاق، لعل عصرنا الآن عصر الموسوعات عصر السرعة الحصول على المعلومة بطريقة سهلة وميسرة، ولذلك تأتي من هنا أهمية الموسوعة وتأتي خطورتها في المعلومات المغلوطة التي اشتملت عليها.

الوسيلة الخامسة: **إصدار المجلات الخاصة ببحوث المستشرقين في أي مجال** من المجالات المتعلقة بالإسلام، أو فيما يتعلق بالبلاد الإسلامية.

من أخطر هذه المجلات **مجلة العالم الإسلامي** (**The Moslem World**) أنشأها المستشرق **صموئيل زويمر عام ١٣٣٠ هـ الموافق ١٩١١م** هذه المجلة مجلة العالم الإسلامي رأس تحريرها صموئيل زويمر لمدة ٣٦ عام، تصدر من هارفورد بالولايات المتحدة الأمريكية، ولا تزال تصدر إلى اليوم، وهي من المجلات الدورية العلمية المحكمة، في هذه المجلة يكتب من يرغب في أي موضوع من الموضوعات التي تتعلق بالعالم الإسلامي سواء كانت تتعلق بالعقيدة أو تتعلق بالسنة أو السيرة أو التاريخ أو بالبلاد الإسلامية كما سموها مجلة العالم الإسلامي، فأي شيء يتعلق بالعالم الإسلامي تستطيع أن تكتب فيه، أغلب من يكتب في هذه المجلة بلا شك عدد من المستشرقين، قد يوجد من بعض الكتاب من غير المستشرقين، لكن أغلبهم من المستشرقين، وهذه المجلة كما أشرت من وسائل الاستشراق، ونجد أن كل مكتبة من المكتبات الغربية بل حتى بعض المكتبات في البلاد العربية والإسلامية تحرص على اقتناء هذه المجلة والحصول على أعداد منها باعتبار أنها مجلة علمية محكمة تعنى بالعالم الإسلامي، خطورتها في بعض المقالات التي كتبت من قبل مستشرقين، ولا سيما في فترة صمويل زويمر والذي اهتم بهذه المجلة ورعاها واستمر في رئاسة تحريرها مدة زمنية طويلة.

الوسيلة السادسة: **إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية في الغرب أو الشرق** فيدعى عدد من المستشرقين إلى إلقاء محاضرات سواء كانت في الجامعات الغربية أو الجمعيات العلمية في الدول الغربية أو حتى في الشرق، فمن خلال محاضراتهم من خلال طرحهم ينشرون ويبثون الفكر الاستشراقي، وهذا يتفاوت بحسب الشخص الذي يلقي المحاضرة، فإذا كان شخصاً من المستشرقين المعتدلين فنجد أنه يطرح الرؤيا المعتدلة التي تمثل وجهة نظر بعض المستشرقين، وإذا كان من غير المستشرقين المعتدلين فتجد أنه يطرح وجهة نظر استشراقية غير معتدلة، ونجد أيضا أن المستشرقين يراعون البيئة ويراعون الجو ويراعون الحضور ويراعون المستمع والمخاطب، فإذا كان المخاطب من البلاد الغربية فهم يطرحون رؤاهم

بصورة أوضح، وقد يطرحون الرؤيا غير المعتدلة والرؤيا التي تسعى إلى التشويه والتحيز ضد الإسلام وضد المسلمين وضد الشرق عامة، لكن إذا كان من المستشرقين غير المعتدلين وكان في بيئة غير مناسبة قد تجد أنه يطرح الطرح الاستشراقي بصورة غير مباشرة.

الوسيلة السابعة: **المعجبون بالحركة الاستشراقية و المتأثرون بها من أبناء المسلمين** وبخاصة من درس في البلاد الغربية وأعجب بالحركة الاستشراقية، وتأثر بالفكر الاستشراقي فبدأ ينادي به ويطرح الرؤى والأطروحات التي يطرحها بعض المستشرقين، ولعل من أمثلة هؤلاء الناس "**طه حسين**" فهو عندما يتحدث ويطرح، يطرح بعض الرؤى التي طرحها عدد من المستشرقين مثل المستشرق **(مارقل يوث)** عندما يتحدث طه حسين عن بعض كتابته.

أيضا "**محمد ماركون**" نرى أنه يطرح بعض الرؤى الاستشراقية في كتاباته، فهناك بعض من أبناء المسلمين الذين أعجبوا بالحركة الاستشراقية وتأثروا بها؛ يطرحون الفكر الاستشراقي والرؤى الاستشراقية لكن تحت أسمائهم وليس تحت أسماء المستشرقين.

الوسيلة الثامنة: **عقد المؤتمرات** فنجد أن هناك مؤتمرات استشراقية تعقد ويطرحون فيها نقاشاً في القضايا التي تتعلق بالحركة الاستشراقية، بعض البحوث بعض الدراسات بعض الرؤى، فبلا شك أيضا أن من خلال المؤتمرات الاستشراقية التي تعقد يستطيعون نشر الفكر الاستشراقي، هذه أهم وأبرز وسائل المستشرقين.

ولعل كما ذكرت أن وسائلهم متعددة ومتنوعة ولكن من أهمها كما ذكرت

الوسيلة الأولى تأليف الكتب في موضوعات مختلفة ومتعددة فيما يتعلق بالإسلام أو بالرسول ﷺ أو فيما يتعلق بالقرآن الكريم، لو نظرنا إلى إحصائية **إدوارد سعيد** عندما ذكر ما كتب عن الشرق خلال قرن ونصف أكثر من **٦٠ ألف كتاب**، لو نظرنا إلى مجهودات وجهود الشرق في الكتاب عن الغرب؛ نجد أن ليس هناك نسبة إطلاقا بين حجم الكتابات المبذولة من قبل الغربي عن الشرق ليس هناك أي نسبة مقارنة بحجم الكتابات المكتوبة من قبل الشرق عن الغرب، لو نظرنا إلى كتاباتنا عن الغرب قليلة لا تقارن بالنسبة الكبيرة التي يكتبها الغرب عن الشرق، بلا شك أن هذه الكتابات تحمل مفاهيم وتحمل رؤى وتحمل دراسات، هذا الكم الهائل من الكتابات الاستشراقية لا شك أن لها دوراً في التأثير على عقول المطلعين وعقول الناس في الغرب الذين يهتمون بهذه الكتابات، فحجم التأثر بلا شك أنه كبير، حجم الكتابات كبير، نحن لا ننكر بأن هناك بعض الكتابات التي تكتب من الغرب عن الشرق قد يكون فيها حيادية إلى حد ما أو منصفة، لكن مع حجم الكتابات الهائلة الكبيرة من السواد الأعظم من المستشرقين التي تحمل الإساءة والتشويه وتحمل الشبهات وتحمل المفاهيم المغلوطة عن الإسلام وعن الشرق عامة، فكما ذكرت وأشرنا قبل قليل إلى أن الوسيلة الأولى ومن وسائل المستشرقين المتمثلة في تأليف الكتب تعد من أخطر الوسائل الاستشراقية.

الاستشراق مجاله فكري، فلا شك أن الكتابات هي الوسيلة المناسبة في التأثير على عقول الناس، يرتبط أيضا بالتأليف **الوسيلة الثانية** وهي مرتبطة أو **تتمثل في التعليم في الجامعات الغربية**، فبلا شك أن التعليم يرتبط بالجانب الفكري يرتبط بجانب التأليف، فعندما يقوم المستشرق بالتعليم في الجامعات الغربية لا شك أنه يحيل الطلاب إلى كتابات للمستشرقين، أيضا في مجال الأبحاث نجده يحيل على كتابات المستشرقين، أيضا يحيل على الموسوعات التي هي في أغلبها كتابات المستشرقين، فلا شك أن التعليم في الجامعات الغربية يعد وسيلة من الوسائل المهمة في نشر الفكر الاستشراقي، وأمر قد يكون من المؤسف وهذا أمر شاهدته في الغرب عامة وفي عدد من الدول الغربية على وجه الخصوص؛ أن من يقوم بالتدريس في الأقسام

التي تعنى بالإسلام أو تدريسه في الغرب أغلبها من المستشرقين النصارى، أو عدد قليل منهم من اليهود، ولا نجد من يقوم بالتعليم في الجامعات من أبناء المسلمين الذين يقومون أو يجب أن يقوموا بهذه المهمة، وهذا أمر لا شك أنه مؤسف.

لو نظرنا على الأديان الأخرى التي تدرس في الجامعات الغربية لوجدنا أن من يدرس اليهودية في الغالب يكون يهودي، ومن يدرس النصرانية يكون نصراني، ومن يدرس البوذية في الغالب يكون من البوذيين، ومن يدرس الهندوسية يكون من الهندوسيين، إلا مع الأسف الإسلام فإنه يدرس في الغالب من المستشرقين النصارى أو اليهود، فمع الأسف لا يوجد من أبناء المسلمين من يقوم بهذه المهمة، ولا شك أن كونه يوجد من أبناء المسلمين من يقوم بالتعليم لا شك أنه سوف يسهم في نشر الصورة الصحيحة عن الإسلام وفي إيضاح المغالطات.

الوسيلة الثالثة الترجمة وقلنا أن الترجمة من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية من وسائل الاستشراق، وتحدثنا عن الترجمة تحدثنا عن اهتمام المستشرقين بترجمة معاني القرآن الكريم وذكرنا أمثلة ونماذج لهذا الأمر وأيضا تحدثنا عن ترجمة **تاريخ الطبري** وكيف استطاع المستشرقون في فترة زمنية محدودة، حدود سنتين أن ينتهون من ترجمة تاريخ الطبري بكاملة ونقله إلى اللغة الإنجليزية واستطاعوا من خلال المنهج لا شك أنه جيد هو تقسيم العمل إلى عدد من الأفراد وكل فرد أسند له مهمة ثم تكون لمتابعة الترجمة والتدقيق فيها والتأكد من سلامة اللغة، ثم بعد ذلك الطباعة، واستطاعوا الانتهاء في مدة زمنية محدودة.

الوسيلة الرابعة كما ذكرت **دائرة المعارف الإسلامية** وذكرت بأنها من أخطر وسائل الاستشراق على الإطلاق وذكرت أنهم استطاعوا إصدارها بعدة لغات وأصبحت الموسوعة مرجعاً علمياً لعدد من الطلبة وعدد من الدارسين والمثقفين.

الوسيلة الخامسة كما ذكرت **إصدار المجلات الخاصة بدراساتهم وأبحاثهم** وذكرت من الأمثلة **مجلة العالم الإسلامي** وتحدثت عمن أنشأها ورأس تحريرها وموضوعاتها ومن أين تصدر.

الوسيلة السادسة ذكرت بأنها **إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العلمية في الغرب أو الشرق** وتحدثنا بالتفصيل عن هذه المحاضرات وكيف أنها تكون وسيلة من وسائل نشر الفكر الاستشراقي، وأشرنا إلى أنه بحسب طرح المستشرق، فإذا كان المستشرق من المعتدلين فلا شك أن من خلال المحاضرة ينشر الفكر الاستشراقي ويوضح الفكر الاستشراقي المعتدل، وإذا كان غير معتدل وهم السواد الأعظم فينشرون الفكر الاستشراقي الغير معتدل.

الوسيلة السابعة ذكرنا **المعجبون بالحركة الاستشراقية من أبناء المسلمين** وذكرنا أمثلة ونماذج لهؤلاء الأشخاص.

الوسيلة الثامنة والأخيرة المؤتمرات وذكرنا بأن المؤتمرات الاستشراقية تعد من وسائل نشر الفكر الاستشراقي، وذكرت بأنهم لا يزالون يعقدون المؤتمرات إلى اليوم ويتدارسون فيها البحوث والدراسات والطرائق المتعلقة بنشر الفكر الاستشراقي.

هذا لعله ملخص لما ذكرناه فيما يتعلق بوسائل الاستشراق، وحاولت أن أرتبها على حسب الأهمية وحسب الخطورة، فلا شك أن **الوسيلة الأولى** التي **هي تأليف الكتب** لا شك أنها أخطر وأهم بكثير من مثلا إلقاء المحاضرات في الجامعات والجمعيات العليمة في الغرب أو الشرق.

الحلقة (١١)

نماذج من آراء المستشرقين حول الإسلام ومناقشتها

-نماذج من آراء المستشرقين حول القرآن الكريم ومناقشتها:

- القرآن الكريم لا شك أن له أهمية كبرى، وله مكانة، فهو بلا شك المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، ولذلك

فطنت لهذا الأمر الحركة الاستشراقية، ووقف الاستشراق من القرآن الكريم موقفه من الإسلام موقف الخصومة والعداء والوقوف في وجه القرآن الكريم، وإنكار مصدره الرباني، والقول ببشريته وأنه من عند محمد ﷺ، نحن نعلم بطلان هذه الفرية وأنها لا تستند إلى دليل، وإنما جاءت تعصبًا ضد القرآن الكريم ونبيه محمد ﷺ، وبخاصة أن القرآن الكريم وقف من التوراة والإنجيل الموجودين في أيدي الناس موقفاً واضحاً، وأنهما مما كتب البشر، قال الله تعالى {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} وقال تعالى {وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ}.

لاشك في مقابل هذا التحريف في التوراة والإنجيل نجد أن القرآن الكريم يمتاز بحفظ الله له كما قال الله تعالى {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} وقال تعالى {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا}.

لقد سعى بعض المستشرقين إلى تشويه القرآن الكريم وذلك من خلال ترجمات معاني القرآن الكريم ولعل أول هذه الترجمات: ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية على يد **كيتون** وبمعونة **دالمتيا في القرن الثاني عشر الميلادي**.

أيضًا توالت ترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى اللغات الأوربية المختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية والهولندية والأسبانية وغيرها، ولعل من الترجمات إلى اللغة الانجليزية ترجمة **جورج سيل** وكذلك ترجمة **إربري**، ولو نظرنا إلى هذه الترجمات لمعاني القرآن الكريم؛ وجدنا أن هناك بعض التشويه، والتشويه وقع من خلال أمور عدة: منها عدم دقة الترجمة أو بالتعليق على الترجمة بتعليقات غير صحيحة أو تغيير أرقام الآيات أو غيرها، ولاشك أن المقصود من هذه الأمور تشويه القرآن الكريم من خلال الزعم والادعاء أن الرسول ﷺ استقى مادة القرآن ولاسيما قصصه من الأحبار والرهبان، ولكن هذه الشبهات سرعان ما تضمحل وتتبدد عندما نقارن بين روايات التوراة والإنجيل بقصة من القصص المذكورة في القرآن الكريم، فنجد أن القرآن الكريم فيه بيان وحكمة ومعلومات أوسع، واعترف عدد من الغربيين من المستشرقين بالإعجاز في القرآن الكريم واستحالة أن يكون هذا القرآن من بشر.

ولعل من أبرز هؤلاء المستشرق الفرنسي **موريس بوكاي** عندما عمل مقارنة بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم وتوصل إلى أن القرآن الكريم لا يخالف الحقائق العلمية، فهو بذلك لا يكون من بشر، وإنما من الله سبحانه.

وأيضاً الطبيب المختص في علم الأجنة **كنث مور** عندما عقد مؤتمراً للإعجاز العلمي، وتحدث فيه أحد أبناء المسلمين عن علم الأجنة والظلمات الثلاث، فشهد أمام الملأ استحالة أن يكون هذا من عند بشر، مما جعل بعض الحاضرين يقبل بالإسلام نتيجة لتصريحات **كنث مور**، وهو معروف ومشهور فيما يتعلق بعلم الأجنة وكتابه من المقررات المعروفة في كليات الطب.

إن ما يذكره المستشرقون يتعلق بالشبهات حول القرآن الكريم ليس أمراً جديداً، فقد ردده خصوم الإسلام في كل عصر، بل نجد أن هذه الأمور طرحت في عهد الرسول ﷺ وعرض لهذه الأمور القرآن الكريم وكشف زيف هذه الشبهات وهذه الادعاءات، بل نحن نرى أن كفار مكة زعموا أن القصص التي جاءت في القرآن الكريم تعلمها من أحد النصارى ورددوا هذه المزاعم وهذه الشبهات، وبلا شك أن القرآن الكريم رد على هذه المزاعم قال الله تعالى {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ} وقال تعالى {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا} ونجد آيات كثيرة في القرآن الكريم تتحدث عن هذه الأمور وتبين هذه الشبه وتفندها وتبين بطلانها.

- من أيضاً الردود العقلية التي يرد بها على شبه المستشرقين: أن في القرآن الكريم أموراً لا يمكن أن تنسب إلى الرسول الكريم ﷺ لأنها تعاتبه على بعض التصرفات مثل مسألة الأعمى ومسألة الصلاة على رأس النفاق، ولا يمكن أن يعاتب الرسول نفسه لو أن القرآن الكريم من عنده.
- وأيضاً لعل من أبسط الردود على الأخذ والتأثر بالتوراة والإنجيل أن القرآن الكريم مخالف للتوراة والإنجيل في قضايا كلية تتعلق بالتوحيد، أيضاً نجد أن القرآن الكريم لا يقبل بعقيدة التثليث والصلب والخطيئة وغيرها من المرتكزات في المعتقد النصراني، ولذلك نجد القرآن الكريم بلا شك أنه يخالف التوراة والإنجيل في قضايا كلية قضايا رئيسة تتعلق بالتوحيد، عدد من الناس الذين يُقبلون على الإسلام من الغربيين من النقاط التي تعجبهم بلا شك قضية التوحيد ووضوحها في الإسلام، وهذه من الأمور التي تجذب عدداً من الغربيين للإسلام، بل حتى عدداً من الكتاب الغربيين تحدثوا عن الوضوح والسهولة في قضية العقيدة في الإسلام.
- عدد من الكتاب تناولوا هذه الشبهات وقاموا بالرد عليها ودحضها، ولعل من هؤلاء الكتاب الكاتب **محمد عبد الله دراز** في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم" فقد تناول الكاتب جميع الآراء والشبهات المتعلقة باحتمال بشرية القرآن الكريم، وناقشها مناقشة علمية أبان من خلال المناقشة زيف الادعاءات والافتراءات وبطلانها.
- بلا شك أن الحركة الاستشراقية تعرف خطورة وأهمية طرح هذه الشبهات بحيث تحاول أن تنال من الإسلام من خلال إثارة الشبهات حول المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، بلا شك أن هناك جهوداً كبيرة لدحض هذه الشبهات ولبيانها ومن الأمور التي تمت: **عقد ندوة من خلال مجمع الملك فهد فيما يتعلق بالترجمات لمعاني القرآن الكريم** واشترك فيها عدداً وكوكبة من العلماء والمختصين الذين تحدثوا عن هذا الجانب وأبانوا فيه، وتحدثوا عن عدد من الترجمات لمعاني القرآن الكريم والإشكاليات التي وقع فيها عدد من الغربيين الذين قاموا بترجمة معاني القرآن الكريم.

لعلنا في نهاية هذه الحلقة أن نوجز ما أشرنا إليه وتعرضنا إليه سابقاً.

- أشرنا أن الاستشراق وقف من القرآن الكريم موقفه من الإسلام موقف الخصومة والعداء وإثارة الشبهات وإنكار مصدره الرباني والقول ببشرية القرآن الكريم وأنه من عند محمد ﷺ، بلا شك نحن نعلم بطلان هذه الفرية وعدم استنادها إلى دليل، وإنما جاءت من باب التعصب ضد الإسلام بوجه عام وضد القرآن الكريم بوجه خاص، نعم وقفوا من القرآن الكريم هذا الموقف لأن القرآن الكريم وقف من التوراة والإنجيل -الموجود بين أيدي الناس- موقفاً واضحاً وأبان أنهما مما كتب البشر وأشرنا إلى الآيات التي تبين هذا ومنها ما جاء في سورة المائدة

قوله تعالى {يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ} وذكرنا بعض الآيات الأخرى في هذا المجال، أيضاً نجد أن القرآن الكريم امتاز بحفظ الله له/ وأشرنا إلى عدد من الآيات التي تبين أن القرآن الكريم محفوظ بحفظ الله.

- بلا شك أن الحركة الاستشراقية سعت إلى تشويه القرآن الكريم وإثارة الشبهات من خلال الترجمات التي قاموا بها، أشرنا إلى أنهم قاموا بعدة ترجمات منها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللاتينية وذكرنا أنها أقدم ترجمة على الإطلاق ثم تلتها عدد من الترجمات إلى لغات أوروبية مختلفة، ولعلنا ذكرنا من أشهر هذه الترجمات ترجمة المستشرق **جورج سيل** وترجمة **إربري**، سعوا من خلال الترجمات إلى إثارة الشبهات والتشكيك من خلال التعليقات ومن خلال عدم الدقة في الترجمة، سعوا إلى طرح ما طرحه أعداء الإسلام وخصومه عموماً وما طرحه أيضاً كفار مكة، وتحدثنا عن هذا الأمر وبينا بطلان هذه المزاعم، وأشرنا أن القرآن الكريم رد على هذه المزاعم في عدد من الآيات ولعل من هذه الآيات قوله عز وجل {وَلَقَدْ

نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ}.

- ومن الأمور التي وضحت لعدد من المستشرقين الغربيين المنصفين الحديث عن أن القرآن الكريم من عند الله واستحالة أن يكون من عند بشر، وأشرنا إلى **موريس بوكاي** وعقده لمقارنات بين التوراة والإنجيل والقرآن الكريم والوصول إلى أن القرآن الكريم لا يتعارض مع الحقائق العلمية، وتحدثنا عن عالم الأجنة **كنث مور** وتصريحه في المؤتمر العلمي بأنه استحالة أن يكون القرآن الكريم من عند بشر، وذكرنا ردود أخرى تتعلق بمخالفة القرآن للتوراة والإنجيل، وذكرنا أن القرآن الكريم مخالف للتوراة والإنجيل في قضايا كلية تتعلق بالتوحيد تتعلق بعدم قبوله بعقيدة التثليث والصلب، وأشرنا إلى عدد من الكتاب المسلمين اهتموا بهذا الأمر وتناوله تناولاً علمياً وبينوا بطلان هذه المزاعم وتفنيدها، وذكرنا من هؤلاء **محمد عبد الله دراز** في كتابه "مدخل إلى القرآن الكريم".

الحلقة (١٢)

موضوعنا هو نماذج من آراء المستشرقين حول السنة والسيرة النبوية ومناقشتها

السنة والسيرة النبوية

بلا شك أن الحركة الاستشراقية اهتمت بالسنة النبوية باعتبار أنها المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي، وأيضاً باعتبار أن السنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم، وإذا استطاعوا التشكيك في السنة فلا شك أنهم استطاعوا التشكيك في الإسلام، لو نظرنا إلى الاستشراق لرأينا أنه وقف من السنة النبوية موقفه من القرآن الكريم.

فقد سعى **مجموعة** من المستشرقين إلى إثارة الشبهات حول السنة النبوية، يقول الكاتب والمستشرق سابقاً "**دينيه**" -وهو الآن من المسلمين فلا يقال الآن أنه مستشرق ولكن قلنا أنه قبل إسلامه كان مستشرقاً- يقول الكاتب "**دينيه**": "إنه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول **محمد** ﷺ أو يدرسون سنته" هو يبين أنه يصعب على الحركة الاستشراقية التجرد من العواطف والنزعات الدينية عندما يدرسون السيرة النبوية أو عندما يتحدثون أو يكتبون عن السيرة النبوية، **دينيه** عرض لبعض الاتهامات وقام بتفنيدها والرد عليها.

من المستشرقين الذين اهتموا بالسنة وبدراستها وبإثارة الشبهات والشكوك حولها المستشرق المجري "**قولد زيهر**" في عدد من كتبه "دراسات إسلامية" أو في غيره من الكتب أثار الشبهات حول السنة، وكذلك "**دوزي**" وإن كان **قولد زيهر** يعتبر من القيادات البارزة بالنسبة للحركة الاستشراقية ويوصف بأنه زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع.

من الأشياء التي حاول إثارتها المستشرق **قولد زيهر التأخر في تدوين الحديث،** مما يزعم بأنه أتاح الفرصة لوضع أحاديث لخدمة أغراض معينة، بلا شك عندما يطرحون هذه الفرية هم يسعون إلى إضعاف الثقة في حفظ السنة في الصدور، ولو نظرنا إلى المستشرق **قولد زيهر** لوجدنا تحريفاً متعمداً في النصوص عندما اتهم **الإمام الزهري** بأنه يضع الأحاديث للدولة الأموية، ولعلي أشير إلى أن **قولد زيهر** اقتبس نصاً موجوداً في كتب المسلمين، منها ما هو موجود في طبقات ابن سعد عندما قال واتهم الإمام الزهري بأنه يضع الأحاديث للدولة الأموية يقول **قولد زيهر** "لقد اعترف الزهري -يقصد الإمام- بأنه يضع الأحاديث للدولة الأموية" واستشهد بنص، نجد أن النص الذي استشهد به **قولد زيهر** فيه تحريف، النص كما يقول وينقله **قولد زيهر** "إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة أحاديث" لو نظرنا إلى النص الذي اقتطعه **قولد زيهر** لوجدنا أن في هذا النص تحريفاً متعمداً، لو نظرنا لهذا النص لوجدنا النص اقتبس وأخذ في غير موضعه، فالنص بكامله في الكتب عند المسلمين أن الإمام الزهري كعادته وكعادة العلماء أنه كان يطالب الطلاب بأنهم لا يكتبون معه، أي لا يدونون معه، إنما يعتمدون على

الحفظ، فلما أصر عليه الوالي الوليد ليمتحن حفظ ابنه سمح بالكتابة، أراد **الإمام الزهري** أن يبين هذا الأمر للناس فخرج وقال "أيها الناس إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث" الأحاديث بالألف واللام، فالإمام الزهري يشير إلى الأحاديث فالألف واللام فهي أحاديث معروفة ومعلومة، فنجد أن **قولد زيهر** من خلال اقتباسه اقتبس النص من غير سياقه، فهذا مثل شخص يقول القرآن الكريم يتوعد بالويل والثبور لمن يصلي ويستدل بقوله تعالى {فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّين} ولاشك بأن هذا اقتباس في غير سياقه وخارج سياقه، هذا الكلام ينطبق على كلام **قولد زيهر** فهو اقتبس النص من غير سياقه، فالسياق أن **الإمام الزهري** كان يطلب من الطلاب عدم الكتابة عدم التدوين معه للاعتماد على الحفظ، لما أصر عليه الوالي بأن يسمح بالكتابة من أجل حفظ ابنه خرج وقال "يا أيها الناس إن هؤلاء الأمراء أكرهونا على كتابة الأحاديث" فنجد أيضاً أن **قولد زيهر** حذف الألف واللام واقتبسها "كتابة أحاديث" بينما هي في الأصل "الأحاديث" فهي معرفة فهي أحاديث معروفة ومعلومة، محاولة اللبس التي طرحها قولد زيهر في قضية الكتابة، فالكتابة لها معاني كثيرة، **كالتأليف** وهذا غير مقصود، ومنها **التدوين** وهذا هو المعنى المراد، وليس المعنى التأليف، وهذا الأمر يبين الإشكالية التي وقعت فيها الحركة الاستشراقية، ولاسيما في تحريف النصوص وبترها وأخذها خارج سياقها الصحيح.

ولا شك أنها إذا بترت وأخذت خارج سياقها الصحيح فلا شك أن المعنى سيتغير، لو نظرنا إلى ما تذرع به المستشرقين ومنهم **قولد زيهر** في قضية الوضع والدس التي حصلت في الأحاديث، وهناك أحاديث موضوعة ومكذوبة، ونحن نعلم علم اليقين حرص الصحابة ﷺ على حفظ الأحاديث ونقلها، وحرص التابعين وتابع التابعين من بعدهم على نقل الأحاديث وجمعها وتنقيتها من شوائب التحريف، من خلال تعقب أوضاع الكذابين، حتى جمعت السنة في كتب صحيحة، وبلا شك أن علماء الحديث أنشؤوا علماً جديداً يعرف باسم **علم الجرح والتعديل** في تتبع السند ومعرفة الرواة للحكم على الحديث وبيان الأحاديث الصحيحة وإخراج الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، في هذا يقول **ابن المبارك** "الإسناد من الدين ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء" فلا شك أن علم الجرح والتعديل من العلوم التي برزت وظهرت للتأكد من السند وتتبع الرواة والحكم عليهم وعدم قبول من لا يثقون في حفظه من الرواة، أو تكون هناك علة عند أي راوي من الرواة.

لاشك أن الحركة الاستشراقية حرصت على إثارة الشبهات حول السنة النبوية باعتبار كما أشرت أن السنة لها مرتبة متقدمة وتأتي في المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم، كما أن السنة النبوية شارحه وموضحة للقرآن الكريم، قال تعالى {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ} لا شك أن السنة النبوية محفوظة بحفظ القرآن الكريم، وكلاهما وحي، كما قال الرسول ﷺ (ألا إني أوتيت القرآن ومثله معه) إشارة إلى السنة النبوية، فنحن نعلم أحكام أمور كثيرة من خلال السنة، ما يتعلق بالصلاة والأحكام ونعرفها من خلال السنة النبوية وليس من خلال القرآن الكريم لوحده، بلا شك أن الرسول ﷺ أمرنا بالاهتمام بالسنة وبحفظها والحرص عليها كما قال ﷺ (تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا كتاب الله وسنتي)، فلا شك أن التمسك بالقرآن الكريم والتمسك بالسنة النبوية طريق الرشد، وأن الابتعاد عن القرآن الكريم والابتعاد عن السنة طريق الضلالة.

السيرة النبوية

فنحن نعلم أن السيرة النبوية اهتم بها المستشرقون وتناولوها بالبحث والتقصي وكتبوا عن الرسول ﷺ وعن سيرته، وأن المستشرقين اختلفوا في كتاباتهم، فهناك كتابات فيها إنصاف لرسول الله وسيرته، وهناك بعض المستشرقين لم ينصفوا الرسول ﷺ وركزوا على أمور معينة من سيرته ومن حياته، **ومما ركزت عليه الحركة الاستشراقية أموراً منها:**

التقاء الرسول ﷺ ببحيرا الراهب وورقة ابن نوفل وزعموا أن الرسول تعلم من بحيرا الراهب وركزوا هذا الأمر وأبرزوه في كتاباتهم، ولعلهم يقصدون ويشيرون إلى أمور منها تأثر الرسول ببحيرا الراهب، ونحن نعلم أن الرسول ﷺ لما التقى ببحيرا الراهب كان في سن صغير وهو كان في السنة التاسعة من عمره، وبعض الكتابات تشير أنه كان في السن الثانية عشر، في الحقيقة أن هذه السن لا تسمح باستيعاب المسائل الدينية.

نجد أن الحركة الاستشراقية ركزت على تعدد زوجات النبي ﷺ لمحاولة الطعن في شخصيته، ولو نظرنا إلى هذا الأمر لوجدنا بطلان هذه الإشارات التي تشير إليها الحركة الاستشراقية، لأن النبي ﷺ لم يعدد إلا بعد الأربعين، وعدّد لأمور تتعلق بالدعوة، أما في الفترة الأولى من عمره ما قبل الأربعين نحن نعلم أن الرسول ﷺ اقتصر زواجه على خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، لا شك أن عدداً كبيراً من المستشرقين من خلال دراساتهم لم يتوصلوا إلى معلومات صحيحة ودقيقة عن الرسول ﷺ ولا عن سيرته، ولا شك أن التعصب الديني هو السبب الرئيس الذي أعمى مجموعة من المستشرقين عن الرؤية الصحيحة، وإن كنا نقول ونشيد ببعض الكتابات التي أنصفت الرسول وذكرت أنه من العظماء بل أعظم العظماء، ولكن تبقى الكتابات الحيادية والمنصفة كما ذكرنا قليلة في مقابل حجم الكتابات الاستشراقية الضخمة الكبيرة التي لم تتحدث بصورة صحيحة عن حياة الرسول أو عن سيرته العطرة.

<u>في نهاية هذه الحلقة نلخص ما تحدثنا عنه من ذكر بعض آراء المستشرقين حول السنة والسيرة النبوية ومناقشة آرائهم</u>

أشرنا إلى أن الاستشراق وقف من السنة النبوية موقفه من القرآن الكريم، ولذلك سعوا إلى إثارة الشبهات حول السنة النبوية أو حول السيرة، وذكرنا كلاماً لأحد الكتاب المسلمين وهو **دينيه** الذي قال "إنه من العسير أن يتجرد المستشرقون من عواطفهم ونزعاتهم عندما يؤرخون حياة الرسول ﷺ أو يدرسون سنته" وبلا شك أن **دينيه** الذي كان مستشرقاً قبل اعتناقه الإسلام يبين أنه من الصعوبة على الحركة الاستشراقية أن تتجرد من عواطفها ونزعاتها عندما تتحدث عن حياة الرسول ﷺ أو عندما يدرسون سيرة النبي محمد ﷺ.

وأشرنا إلى عدد من المستشرقين الذين أثاروا الشبهات والشكوك حول سنته وسيرته ولعل من أبرزهم **قولد زيهر** المستشرق المجري الذي يعتبر زعيم علماء الإسلاميات في أوروبا بلا منازع، وأثار الشكوك والشبهات حول السنة، ولقد بينا التحريف المتعمد الذي وقع فيه قولد زيهر عندما اتهم علماء المسلمين ومنهم **الإمام الزهري** بأنه يضع الأحاديث للدولة الأموية، وذكرنا مقولته ورددنا عليها، وبينا الأخطاء الجسيمة التي وقع فيها **قولد زيهر** عندما حرف النص واقتباس النص خارج سياقه وخارج إطاره، والتحريف المتعمد الذي وقع فيه، ثم الترجمة الخاطئة للمصطلح في اللغة العربية "الكتابة" ترجمها بمعنى التأليف وهي في حقيقة المعنى تعني التدوين.

وبينا جهود الصحابة وجهود التابعين وتابعيهم في حفظ السنة والاهتمام بها ونقلها وتنقيتها من الشوائب والتحريف، والجهود التي بذلها علماء المسلمين وعلماء السنة في إخراج الأحاديث الموضوعة والمكذوبة، وجمع الأحاديث الصحيحة في كتب معتمدة عند هؤلاء العلماء والجهابذة.

وبينا أهمية الإسناد ونشوء ما يسمى بعلم الجرح والتعديل، وتميز المسلمين وتفردهم في هذا الجانب، وقد ختمنا حديثنا بأن السنة محفوظة بحفظ القرآن الكريم، وأن السنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم، وأنها وحي، وأشرنا إلى أحاديث فيما يتعلق بهذا المجال.

وفي نهاية الحلقة تحدثنا عن السيرة النبوية واهتمام الحركة الاستشراقية بها، وأنهم ركزوا على قضايا معينة في السيرة، منها

التقاء الرسول ببحيرا الراهب وفندنا هذا الأمر، وركزوا على قضية تعدد زوجات النبي ﷺ وفندناه ورددنا عليه، وبينا أن الحركة الاستشراقية انقسمت في الحديث عن الرسول ﷺ وسيرته، فهناك كتابات فيها إنصاف وحيادية، وكما هناك في الجانب الآخر غير موضوعية ومنها كتابات اختزلت سيرة الرسول ﷺ وحياته في قضايا معينة، ثم الحديث عنها بصورة غير صحيحة وغير دقيقة.

الحلقة (١٣)

موضوعنا نماذج من آراء المستشرقين حول الشريعة الإسلامية واللغة العربية ومناقشة هذه الآراء

النقطة الأولى: آراء المستشرقين حول الشريعة الإسلامية

الحركة الاستشراقية اهتمت بالشريعة الإسلامية، وذُهلت الحركة الاستشراقية بالتشريع الإسلامي الهائل الذي لم يجتمع مثله لأمة من الأمم، لما اطّلعوا على شمولية الشريعة الإسلامية وهم لا يؤمنون بنبوة نبينا محمد ﷺ لذلك لجؤوا إلى إثارة بعض الشبهات وبعض القضايا وبعض الإدعاءات حول الشريعة الإسلامية، فادعوا عدم استقلالية الشريعة الإسلامية، واعتمادها على مصادر غير إسلامية، وادعوا أن الفقه الإسلامي مستمد من الفقه الروماني، ولقد اتضح حقد المستشرقين على الشريعة الإسلامية فيما كتبه عدد من المستشرقين منهم "**رنان**" و"**قولد زيهر**" و**مارجليوث**" وغيرهم، وحاولوا إيهام المسلمين بأن الشريعة الإسلامية سبب في تأخرهم، وحاولوا إشاعة هذه الأطروحات وهذه الشبهات، وأن الشريعة سبب رئيس في تأخر المسلمين وأنها عائق في سبيل تقدمهم، ولقد طرحت هذه الأمور وهذه الشبهات لمحاولة إقناع الناس بقبول القوانين الوضعية وإحلالها محل الشريعة الإسلامية، ولاسيما في ظل ما حصل من احتلال في فترة الاستعمار لعدد كبير من البلاد الإسلامية والعربية، فطرحت هذه الأمور وحاولوا طرحها بحيث أن الناس تقبل باستبدال الشريعة الإسلامية بالقوانين الوضعية.

ولو نظرنا لهذه الأطروحات لرأينا أنها واهية، فالشريعة الإسلامية شريعة ربانية منزلة وضعها الشارع الحكيم محققة لقيام مجتمع الأمن والطمأنينة، ولا شك أن الشريعة الإسلامية شاملة ووافية لمتطلبات الناس ومتطلبات العصر، وأنها قادرة على تقبل تغيرات العصور والبيئات.

ولاشك أن من أخطر محاولات الحركة الاستشراقية الادعاء أن الفقه الإسلامي مأخوذ من الفقه الروماني وهذه الدعوى باطلة، يؤكد بطلانها المؤتمر القانوني الدولي المعقود في مدينة لاهاي سنة (١٣٢٦) الموافق (١٩٣٧م)، والذي قرر فيه أن الشريعة الإسلامية نظام مستقل بذاته، وأنه غير مأخوذ من القانون الروماني، ومن الأمور التي تؤكد بطلان هذه الفرية وادعاء العلاقة بين الفقه الإسلامي والفقه الروماني أننا لو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية لعرفنا أنها لم تفرق بين الروح والجسد، ولم تهمل أحدهما، كما **أن الفقه الإسلامي** قسم على أساس **العبادات والمعاملات والعقوبات**، بينما **القانون الروماني** قسم على أساس **الأشخاص والخصومات**، ولو نظرنا إلى الشريعة الإسلامية فأساسها مستمد من الوحي بينما أساس القانون الروماني مستمد من البشر، والشريعة الإسلامية شملت مناحي الحياة وشملت احتياج الناس ولا شك أنها ملائمة لاحتياجات الناس وملائمة للعصر، هذا بما يتعلق بالنقطة الأولى من موضوعنا هذا اليوم.

النقطة الثانية: تتعلق بنماذج من آراء المستشرقين حول اللغة العربية ومناقشة هذه الآراء

فالحركة الاستشراقية اهتمت باللغة العربية **باعتبارها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة**، ولذلك كانت حملة الحركة الاستشراقية على اللغة العربية أنها حملة مرتبطة بتحاملهم وحملتهم على القرآن الكريم وعلى السنة النبوية الشريفة، ومحاولة

إبعاد الناس عن المصدر الأول القرآن الكريم وإبعاد الناس عن اللغة العربية التي من خلالها يعرفون القرآن الكريم، وكذلك إبعادهم عن السنة النبوية وهي المصدر الثاني من مصادر التشريع الإسلامي.

واهتموا باللغة العربية **لكونها لغة العرب والمسلمين جميعا**، فهي اللغة المشتركة بين الشعوب في البلاد العربية والشعوب في البلاد الإسلامية، فإذا أبعدو الناس عن اللغة العربية فلقد أوجدوا الحواجز بين الشعوب العربية والشعوب الإسلامية، باعتبار أنها اللغة المشتركة، فالحركة الاستشراقية تسعى إلى إبعاد الناس عن القرآن الكريم وعن السنة النبوية وعن كتب العلماء وعن كتب التراث، وإيجاد عقبات أمام التواصل بين الشعوب في البلدان العربية والبلدان الإسلامية، من خلال إثارة الشبهات والشكوك حول اللغة العربية.

ولذلك نلحظ أن الحركة الاستشراقية حرصت على إثارة الشبهات حول اللغة العربية، ولذلك دعوا إلى إحياء العاميات والكتابة بها من خلال إحياء العاميات والكتابة بها يبعدون الناس عن اللغة العربية الفصحى، وكما دعا عدد من المستشرقين إلى إحلال الحروف اللاتينية محل الحروف العربية، ومن المستشرقين الذين دعوا إلى ذلك المستشرق "**ماسنيون**" وكذلك **مرجليوث** وغيرهما، ولو نظرنا إلى الحركة الاستشراقية لوجدنا أنهم طرحوا مجموعة من الشبهات حول اللغة العربية.

طرحت أمور كثيرة، من أهم ما طرحته الحركة الاستشراقية مجموعة من الأمور منها قصور اللغة العربية وعدم كفايتها العلمية، ومن الأمور التي طرحت من قبل الحركة الاستشراقية صعوبة النطق والكتابة، وطرح أيضاً التفاوت في اللغة بين طريقة النطق والكتابة، وهذه أبرز الشبهات والأمور التي طرحت حول اللغة العربية، ولذلك دعوا للعاميات ودعوا إلى إحلال الحروف اللاتينية بدل من الحروف العربية.

ونحن نعلم بطلان هذه الدعاوى، فلو نظرنا إلى قضية ضعف اللغة العربية وأنها غير قادرة في كفايتها العلمية وأنها غير مجدية في الجانب العلمي لعرفنا بطلان هذا الأمر، فلا شك أن اللغة العربية لغة حية، ونعرف قوة اللغة العربية عندما كانت الحضارة الإسلامية قوية فكان الناس يذهبون ويأتون إلى الأندلس لتعلم اللغة العربية ولنقل العلوم والمعارف، وهذا حدث في الأندلس في الفترة تقريباً من **القرن الثاني عشر الميلادي** واستمر إلى **القرن السادس عشر** عندما كانت أوروبا تعيش فترة الظلام، وكنا نرى اللغة العربية قوية وأنها لغة حية وفيها كفاية علمية، ونعترف بأن الضعف الذي حصل في الآونة الأخيرة حصل بسبب الضعف الموجود في الأمة الإسلامية، فاللغة تقوى بقوة الأمة، فلما ضعفت الأمة بلا شك أن ذلك انعكس على اللغة العربية، وأيضاً كان للاستعمار دور في هذا الضعف ومحاولات إضعاف اللغة العربية ومحاولة فرض اللغات الأجنبية وتشجيعها، وهذا أمر واضح وظاهر وجلي للعيان.

أما ما يتعلق بصعوبة النطق والكتابة باللغة العربية فهذا أمر مخالف لقواعد النحو والصرف التي خدمت اللغة العربية وأظهرت تفوق اللغة العربية على سائر اللغات.

وبما يتعلق بالتفاوت في اللغة بين طريقة النطق والكتابة فقد أثبتت الدراسات العلمية والبحثية الدقيقة أن جميع لغات العالم تتسم بهذه الصفة، وأن اللغات الأوروبية تختلف فيما بين الكتابة والكلام، فهذا أمر سائد وموجود في اللغات المنتشرة والموجودة، وبلا شك أن التفاوت في اللغة بين طريقة النطق والكتابة قد تقل عندما ترتفع معرفة الناس وإتقانهم للغة، وقد ترتفع عندما تقل معرفة الناس باللغة وإتقانها.

وفي نهاية الحلقة نلخص ما ذكرنا فيها

موضوعنا في هذه الحلقة نماذج من آراء المستشرقين حول الشريعة الإسلامية واللغة العربية، ومناقشة هذه الآراء، بما يتعلق

بالشريعة الإسلامية بلا شك أن الحركة الاستشراقية وقفت منها موقف العداء، وذهلوا بالتشريع الإسلامي الهائل الذي لم يجتمع مثله لأمة من الأمم، وباعتبار أن الحركة الاستشراقية لا تؤمن بنبوة نبينا محمد ﷺ لذلك لجؤوا إلى الإدعاءات وشبهات عديدة، منها: عدم استقلالية الشريعة الإسلامية واعتمادها على مصادر غير إسلامية، وتحدثوا عن الفقه الإسلامي وحاولوا الإدعاء والزعم أنه متأثر بالفقه الروماني، ونلاحظ مجموعة من المستشرقين طرحوا هذه الإدعاءات والمفتريات ذكرنا منهم **رينان وقولد زيهر ومرجليوث** وغيرهم، ولو نظرنا للشريعة الإسلامية لوجدنا أنها شريعة ربانية منزلة، وضعها الشارع الحكيم وهي محققه لمصالح الناس والمجتمعات، وهي ملائمة لحاجات الناس ولجميع العصور والبيئات، ونلاحظ أن الحركة الاستشراقية ركزت على قضية تأثر الشريعة الإسلامية بالفقه الروماني، ونعلم بطلان هذا الإدعاء وذكرنا أن مؤتمر القانون الدولي المعقود في مدينة لاهاي بيَّن بطلان هذا الإدعاء وأقر أن الشريعة الإسلامية نظام مستقل بذاته وأنه غير مأخوذ من القانون الروماني، وتحدثنا عن الفروقات الرئيسة بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني.

والنقطة الثانية **هي اللغة العربية** وحرصت الحركة الاستشراقية إثارة الشبهات حول اللغة العربية باعتبار أنها لغة القرآن الكريم والسنة النبوية والمؤلفات والكتابات وكتب علماء المسلمين وكتب السلف، فلا شك أنهم بإثارة الشبهات والشكوك حول اللغة العربية يبعدون الناس عن القرآن الكريم والسنة النبوية وعن تراثهم وعن كتابات العلماء ومؤلفاتهم، أيضا يسعون بنشرهم للشبهات والشكوك حول اللغة العربية بزرع الفرقة بين الشعوب العربية والإسلامية، فاللغة العربية هي اللغة المشتركة بينهم وهي لغة طلب العلم بما يتعلق بالعلم الشرعي، ودعت الحركة الاستشراقية إلى إحياء العاميات ونشرها والترويج لها، وطرح الشبهات حول قصور اللغة العربية وعدم كفايتها العلمية، والتفاوت في اللغة العربية بين النطق والكتابة، ولقد رددنا عليها وبينا أن اللغة العربية لغة حية، هي لغة العلم، وأثبتت في العصور التاريخية وخاصة في الأندلس أنها لغة علمية عملية، وأن الناس كانوا يأتون للأندلس لتعلم اللغة العربية، ثم بعد ذلك نقل العلوم والمعارف بالترجمات من اللغة العربية إلى اللغات الأوروبية المختلفة، حينما كانت أوروبا في تلك العصور في تخلف وتحتاج إلى العلوم والمعارف والمناهج الإسلامية، واعتمدت على العلم والمعرفة الإسلامية ما يقارب **ستة قرون تقريباً** إلى أن جاء **القرن السادس عشر** بما يسمى عصر التنوير التي بدأت فيها حركة التنوير في أوروبا، وبما يتعلق بالتفاوت في اللغة العربية بين النطق والكتابة فقد أثبت البحث العلمي أن جميع اللغات تتسم بهذه الصفة، وأن اللغات الأوروبية تختلف فيما بين الكتابة والكلام، وهذه من سمات اللغات الحية.

الحلقة (١٤)

الموقف من الاستشراق ومستقبله، و إيجابيات الحركة الاستشراقية و سلبياتها

الموقف من الحركة الاستشراقية لو نظرنا إلى موقف المسلمين من الحركة الاستشراقية وجدنا أن **هذه المواقف تتلخص في ثلاث اتجاهات رئيسة:**

الاتجاه الأول: قبول الحركة الاستشراقية، والثقة بها، والاعتماد عليها، والثناء المطلق عليها كذلك، ويمثل هذا الاتجاه مجموعة من الكتاب والمثقفين المعجبين بالحركة الاستشراقية من أمثال **طه حسين وأحمد أمين** وغيرهم.

الاتجاه الثاني: وهو اتجاه يقابل الاتجاه الأول، وهو يرفض الدراسات الاستشراقية مطلقا، ويتحامل عليها ولا يقبلها.

الاتجاه الثالث: وأرى أنه الاتجاه المناسب وهو اتجاه وسط، عدم قبول الحركة الاستشراقية على الإطلاق وعدم رفضها كذلك، ولكن يأخذ الجيد من الحركة الاستشراقية وهو قليل، ويترك المخالف منها وهو الكثير، وهذا يتفق بلا شك مع أن الحكمة

ضالة المؤمن، وأن الحق إذا كان حقا يقبله الإنسان ولو كان من المخالف كما يقول الله سبحانه وتعالى {وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى} فلا شك أننا نأخذ الجيد من الحركة الاستشراقية ونترك المخالف.

أريد أن أشير في هذا الأمر إلى نقطة أحسب أنها نقطة مهمة وهو أن أغلب ما ظهر بالنزاهة العلمية مع قلته قد وُظِّف لمصلحة الحركة الاستشراقية، فالكتابات الايجابية والكتابات الجيدة لاشك أنها توظف لصالح الحركة الاستشراقية.

لذلك ننظر إلى عدد من الناس عندما يطرح إعجابه بالحركة الاستشراقية ونتحدث معهم يشير إلى إيجابياتها مثل (معجم المفهرس لألفاظ السنة) أو بعض كتابات المستشرقين، فلا شك أن الجوانب الإيجابية في الحركة الاستشراقية قد خدمت الحركة الاستشراقية في إطارها الآن.

الكاتب **محمد منظاري** أشار إلى هذه النقطة حينما قال: (ومهما كان حسن الظن متوفراً في كثير من تلكم الدراسات إلا أن ما كان منها نتيجة راية علمية كدراسة **جلاشير** لتاريخ الأدب العربي خدمت بطريق مباشر أو غير مباشر غايات عاطفية وعصبية) وهذا يؤكد الكلام الذي أشرنا إليه قبل قليل أن الجانب الإيجابي في الحركة الاستشراقية قد يوظف من قبل الحركة الاستشراقية أو من قبل كتاب آخرين لخدمتها في إطارها العام، لكن هذا لا يمنع أن الشخص الذي يكتب كتابة جيدة إننا نشيد بهذه الكتابة الجيدة ونبين أنها إيجابية، أما قضية توظيفها فهذا أمر آخر أشرنا إليه، لكن هذا لا ينطبق على شخص وإنما ينطبق على الحركة الاستشراقية في إطارها العام.

مستقبل الاستشراق

فإنه كما ذكرنا في حلقات سابقة عندما تحدثنا عن مراحل الاستشراق وتطوره أشرنا إلى الفترة الذهبية للحركة الاستشراقية التي كانت في القرنين ١٩ و٢٠، بلا شك منتصف القرن ٢٠ الصورة فيه كانت واضحة، ولاشك أن الاستشراق باقٍ إلى اليوم وهو مستمر، وهذا على الرغم من ذكر بعض الكتاب أن الحركة الاستشراقية أفلت وضعفت، وهذا الضعف قد يكون موجوداً، إلا أنها لا زالت قائمة وموجودة، بلا شك أنها انحصرت الآن في التعليم في الجامعات في البلاد الغربية، وفي مراكز البحوث والدراسات وانحصرت في الكتابات والمؤلفات، ولا زال يوجد بها ارتباط ببعض السياسات المرتبطة بالدول الغربية، لكنها باقية ولا زالت قائمة، مما يؤكد على بقائها -وإن كانت قد لا تشهد المرحلة الذهبية، إلا أنها حركة باقية ومستمرة موجودة- **مما يؤكد بقاء الحركة الاستشراقية أمور عديدة، منها:**

١. أن الحركة الاستشراقية نشأت وبدأت نتيجة للعلاقات والمصالح الغربية المرتبطة بالعالم الإسلامي في تلك الفترة، هذه المصالح والعلاقات لا زالت قائمة مع العالم الإسلامي، ولذلك تأتي أهمية الدراسات الاستشراقية.
٢. وهناك أمر آخر أن جزءاً كبيراً من المعلومات المرتبطة بوسائل الإعلام الغربية، لو نظرنا إلى أساسها لوجدنا أنها معلومات موجودة في مؤلفات المستشرقين وفي كتاباتهم القديمة والجديدة، أيضا الكتابات المرتبطة بالبلاد الإسلامية والكتابات المرتبطة بالشعوب البلاد العربية والإسلامية، فلا شك إنها موجودة في الحركة الاستشراقية تنبثق وتظهر بصورة أخرى من خلال وسائل الإعلام الغربية.
٣. الاهتمام بالإسلام وبدراسته والأمور المتعلقة به، والأمور المتعلقة بالبلاد العربية والبلاد الإسلامية، واللغة العربية والاهتمام بها، وهذا موجود في الدراسات الاستشراقية المرتبطة بالجامعات أو بالكتابات والمؤلفات التي تتحدث عن الإسلام أو تتحدث عن البلاد العربية والإسلامية، أو تتحدث عن الأمور المرتبطة باللغة العربية.
٤. يؤكد هذا النتاج الهائل الضخم من الكتابات والمؤلفات والمقالات عن الإسلام والمسلمين، ثم الصراعات التي وُجدت

بين البلاد الغربية وبين الشعوب الإسلامية لا شك أوجدت حاجة كبيرة للكتابات للمقالات للمؤلفات عن الإسلام وعن المسلمين، وأيضا التقارب الآن الذي تشهده الساحة بين الشرق والغرب من خلال وسائل الاتصال الحديثة؛ تجعل هذه الكتابات والمعلومات تنتشر وترجع إلى الناس بسرعة، ونرى هناك اهتماما زائداً بالعالم الإسلامي واهتماماً متزايداً بالكتابة عن العالم الإسلامي وبالمؤلفات عن الإسلام، ونجد أن أغلبها تمثل جانباً سلبياً، ولكن نؤكد أن حجم الكتابات والمؤلفات الكثيرة تؤكد بقاء الحركة الاستشراقية، وأنها لازالت باقية على الرغم من أن هذه الفترة الحالية ليست فترة ذهبية كما كانت في القرنين التاسع عشر والعشرين.

تقويم سريع للحركة الاستشراقية وذلك بذكر إيجابياتها وسلبياتها

كما ذكرت وأشرت وهذا يتفق مع الموقف الذي تحدثنا عنه؛ وهو الموقف الوسط، وهو أننا لا نرفض الحركة الاستشراقية مطلقا ولا نقبلها مطلقا، لكن ننظر إليها إذا كان هناك أموراً إيجابية فنفيد منها -ولا شك توجد أمور إيجابية- والأمور السلبية نقوم ببيانها ونقوم بمعالجتها.

من الأمور الايجابية في الحركة الاستشراقية:

١- الإفادة من أساليبهم وطرقهم فيما يتعلق بالحفاظ على المخطوطات والاهتمام بها، لا شك أن الحركة الاستشراقية لها أساليب وطرق في الاهتمام بالحفاظ على المخطوطات، أيضا فهرسة هذه المخطوطات، ولا شك أن العقلية الاستشراقية سبقتنا فيما يتعلق بالفهرسة وفيما يتعلق بالحفاظ على المخطوطات، فلا شك أننا نفيد من هذا الجانب.

٢- العمل الجماعي، وعادة فيما يتعلق بالأمور العلمية، والعمل الجماعي يكون فيه نتاج أكبر من العمل الفردي، وهذا يتضح في عدد من المشاريع التي تبنتها الحركة الاستشراقية، ومن أبرزها ما تبناه **(بطرس)** عندما شكل مجموعة من المترجمين يعملون كفريق واحد وأعدوا مجموعات تعرف باسم مجموعات **(كونيك)** هذا في بداية الاستشراق، أو بما يتعلق بالفترة الحالية من الاستشراق عندما قامت الحركة الاستشراقية بترجمة **(تاريخ الطبري)** وأنجز هذا المشروع خلال فترة زمنية محدودة قرابة عامين، سنة للترجمة وسنة أخرى لمراجعة الترجمة والتأكد منها وطباعة **(تاريخ الطبري)** باللغة الإنجليزية، لا شك أن العقلية الغربية في العمل الجماعي العلمي أنه يكون مريحاً وسريعاً ومنتجاً، فعندما يقسم العمل إلى مجموعات صغيرة يستطيع المترجم فيما يتعلق بالترجمة أن ينجز العمل، وهذا واضح فيما يتعلق بترجمة تاريخ الطبري، وأيضا فيما يتعلق بإعداد الموسوعات ودائرة المعارف نجد أن كل مادة من المواد تسند إلى شخص بحيث يسهل عليه الكتابة في مادة من المواد، لأن الشخص الذي يكتب في جميع المواد فهذا الأمر يصعب عليه، والعمل الجماعي العلمي إيجابي ومثمر ومنتج أكثر من العمل الفردي.

٣- الإفادة من الكتب العلمية أيضا الكتب التي فيها اعتدال وحياد، والكتب التي فيها موضوعية، الإفادة منها في مواجهة الكتابات الاستشراقية الأخرى التي لا تتسم بالحياد ولا الموضوعية، فمن الممكن أننا نفيد من الكتابات الحيادية والكتابات الموضوعية التي كتبها عدد من المستشرقين في مواجهة الكتابات غير المنصفة وغير الموضوعية، لا شك أننا نقر أن حجم الكتابات المعتدلة الموضوعية قليلة، لكن نفيد منها في إقناع الناس بأن هناك شريحة من المستشرقين ذوي الكتابات العلمية الموضوعية تخالف كتابات عدد كبير من المستشرقين ذوي الكتابات الغير موضوعية.

ومن أمثلة الكتابات الموضوعية الحيادية المنصفة:

كتابات **(أرنولد)** وخاصة كتابه (الدعوة إلى الإسلام) وكتابات **(ستانلي لين)** و**(ادوارد لين)** وغيرهم، **أما الكتابات العلمية**

فلا شك أننا نحرص على الاستفادة منها، وأبرز هذه الكتابات العلمية (المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي) الذي أعده المستشرق الهولندي (**فلسينك**) فلا شك أن هذا مشروع علمي مفيد بناء، نحن نعترف بأنه وضع في أصله لخدمة الحركة الاستشراقية لأن الحركة الاستشراقية وجدت صعوبة هائلة كبيرة في التعامل مع الأحاديث النبوية، باعتبار أنهم لا يستطيعون حفظ الأحاديث، ولكن بلا شك أنه جهد علمي ضخم مفيد وحري بنا أن نفيد منه في معرفة مواقع الأحاديث النبوية من حيث الكتب الموجودة فيها، فلا شك أن هذا المعجم يعد من الجهود العلمية البارزة المفيدة.

٤- هناك مجوعة من المستشرقين الذين توجهوا إلى الاستشراق بدافع علمي محض قد قبلوا بالإسلام، ونحن لا نصفهم بالمستشرقين إنما في بداياتهم قبل اعتناقهم الإسلام نعم كانوا في ظل الحركة الاستشراقية، ولكن بعد اعتناقهم للإسلام لا ينطبق عليهم وصف الاستشراق، فنفيد من كتابات هؤلاء المهتدين في الأمور الإيجابية التي سطرها هؤلاء الناس، من أبرزها الكاتب (**محمد أسد**) و(**مريم جميلة**) و(**ناصر الدين دينيه**)، لاشك أنها أمور إيجابية من الممكن أن نفيد من الحركة الاستشراقية.

أما السلبيات في الحركة الاستشراقية:

١- أن الحركة الاستشراقية تفتقد إلى الموضوعية والأمانة العلمية ولاسيما في حديثها عن الإسلام والمسلمين، وفي المحاضرات السابقة بيّنا هذه النقطة.

٢- النزعة الفوقية العنصرية الموجودة في الكتابات الاستشراقية، فهي تنظر نظرة علو وارتفاع، وتنظر إلى الثقافة الغربية على أنها هي الثقافة المرتفعة والعالية، وتنظر نظرة دونية إلى ما سواها أي للإسلام والمسلمين، وهذا واضح من خلال كتاباتهم.

٣- أنها تطبق المعايير والمقاييس النصرانية في دراستها للإسلام وفي كتابتها عن الإسلام، فنجد المستشرق يطبق المعايير والمقاييس النصرانية سواء فيما يتعلق في أمور الدين أو فيما يتعلق ببعض الأمور المرتبطة الأخرى، وذلك مثلما ذكرت عندما تحدث أحد المستشرقين عن أعياد النصارى وذكر قائمة بأعياد النصارى، ثم ذكر قائمة بأعياد المسلمين جعلها أعياد المسلمين وهي ليست أعياد لهم، بناء على تطبيق المعيار والمقياس النصراني.

٤- الحركة الاستشراقية تركز على الأمور التي تثير الخلاف بين المسلمين، تركز على تمجيد أمور اندثرت، تركز على تمجيد الجاهلية، على تمجيد الفرق الضالة بين المسلمين، فتحاول الترويج لهذه الفرق، والاهتمام بها وإجراء البحوث والدراسات حولها، إلخ

٥- من أبرز سلبيات الحركة الاستشراقية إثارة الشبهات والشكوك حول القرآن الكريم والسنة النبوية والسيرة وكذلك الفقه الإسلامي واللغة العربية وغيرها من الأمور، فهم يسعون إلى إثارة الشبهات والشكوك والتركيز عليها.

٦- الخلط بين الإسلام كدين وبين ممارسات الناس له وواقع الناس، فيجب أن نفرق بين الإسلام وممارسات الناس له، فالإسلام يجب أن ينظر إليه من خلال القرآن الكريم والسنة النبوية وفهم السلف الصالح، ولا ينظر إليه من خلال واقع الناس، فواقع الناس ليس بحجة، إنما الإسلام هو الحجة.

الحلقة (١٥)

وسائل مواجهة الاستشراق وأساليبه

في ختام حديثنا عن الحركة الاستشراقية؛ أرى أنه من الأهمية بمكان أننا نتحدث ونبين كيف نستطيع أن نواجه

الاستشراق؟ الحركة الاستشراقية كما ذكرنا حركة فكرية، فلابد أن نواجهها بالفكر، لابد أن نواجهها بنفس الوسائل التي طرحتها الحركة الاستشراقية، ولعلنا نشير في هذه الحلقة إلى جملة من الوسائل والأساليب المناسبة لمواجهة الاستشراق.

من الوسائل المناسبة لمواجهة الاستشراق:

١. **إيجاد الحصانة العقدية في نفوس أبناء المسلمين،** وذلك من خلال غرس العقيدة الإسلامية الصحيحة في نفوس أبناء المسلمين، ولابد أيضا أن نبين حقيقة الإسلام، ولابد أن ننشر وأن نبث تعاليم الإسلام بين أبناء المسلمين، فإذا استطعنا أن نوجد حصانة قوية داخلية في نفوس أبناء المسلمين معنى هذا أن الشبهات والإفتراءات التي تثار من قبل أعداء الإسلام لن يكون لها أي مدخل على أبناء المسلمين.

٢. **الاهتمام بتدريس مادة الاستشراق والتنصير في الجامعات،** لأن الجامعات بلا شك محاضن ومراكز علمية للبحث والعطاء، فلا شك أن تدريس مادة الاستشراق والتنصير في الجامعات تبين الحركة الاستشراقية وتوضحها، وتعطي تصوراً واضحاً وكاملاً عن أساليب ووسائل الاستشراق، وتاريخه، وكيف نستطيع أن نواجه الحركة الاستشراقية، ولا شك أن مادة الاستشراق والتنصير تدرس بحمد الله وفضله بعدد كبير من كليات جامعة الإمام، كما أنها أيضا تدرس في جامعات أخرى داخل المملكة وخارجها، فتدريس مادة الاستشراق والتنصير في الجامعات بلاشك أنها وسيلة لمواجهة الاستشراق.

٣. **إجراء الدراسات والبحوث حول الاستشراق وأهدافه ووسائله وشبهات المستشرقين والرد عليهم،** ومن الممكن إجراء الدراسات والبحوث في الأقسام العلمية من خلال الرسائل العلمية التي تقدم للأقسام العلمية، سواء في مرحلة الماجستير أو الدكتوراة مرحلة الدراسات العليا، ومن الممكن أن تجرى الدراسات والبحوث في مراكز البحوث مراكز الدراسات، وأن تنشر هذه الدراسات التي تسهم بالتعريف بالحركة الاستشراقية في التعريف بأهداف الحركة الاستشراقية ووسائلها والتعريف بالشبهات التي تثار من الحركة الاستشراقية والتعريف أيضا بالكتابات الإيجابية الجيدة لبعض المستشرقين، فلا شك أن إجراء الدراسات والبحوث حول هذه الأمور تسهم في مواجهة الاستشراق السلبي.

٤. **إعداد كوادر علمية متميزة في هذا التخصص فيما يتعلق بالاستشراق،** وأيضا إيجاد كوادر علمية متميزة من أبناء المسلمين، واستقطاب مجموعة من أبناء الأقليات الإسلامية لتأهيلهم تأهيلا شرعيا وعلميا مناسبا، للعمل فيما بعد في التعليم في الجامعات الغربية، والتعليم في المؤسسات في البلاد الغربية، ولا شك أننا لو استطعنا أن نهيئ وأن نعد قيادات وكوادر علمية متميزة من أبناء الأقليات المسلمة في الدول الغربية، ثم عادوا إلى بلادهم بعد الحصول على الشهادات العليا؛ بلا شك إن شاء الله سيكون لهم تأثير كبير وبخاصة إذا انخرطوا في التعليم في الجامعات الغربية وحلوا بدلا من عدد من المستشرقين المتواجدين في عدد من الجامعات الغربية التي تهتم بدراسة الإسلام وتدريسه، أو بأمور متعلقة بالحضارة الإسلامية أو العالم الإسلامي، هناك مجموعة من الكتّاب والباحثين والمؤلفين ذكروا نقاط عديدة في مواجهة الاستشراق وأساليب مواجهته، ولعل من أبرز هؤلاء الكتّاب الكاتب: **(محمود حمدي زقزوق)** في كتابه (الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري) ذكر مجموعة من الأساليب المناسبة لمواجهة الاستشراق، لأننا نتحدث عنها ونعلق على بعض من هذه الأساليب.

٥. ومن الأساليب التي طرحها د/ **محمد حمدي زقزوق موسوعة الرد على المستشرقين،** فهو يذكر أن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم في القاهرة بنهاية عام ١٩٧٩م دعت إلى ندوة لمناقشة موضوع إعداد موسوعة للرد على المستشرقين، ويذكر بأن من حضر الندوة عدد كبير من المختصين من العلماء والمفكرين والمهتمين بهذا الموضوع، وتحدثوا عن أهمية هذه

الموسوعة، تكون موسوعة متخصصة للرد على المستشرقين، وتتبنى موضوعات كلية لأنه من الصعوبة بمكان أن تتبع جميع الموضوعات التي طرحت من قبل الحركة الاستشراقية، ولكنها تتحدث عن موضوعات كلية يشترك فيها عدد من المستشرقين مثل قضية القرآن الكريم ليس وحي، وقضية مثلا فرية أن الأحاديث النبوية ليست من عند الرسول، تأثر الفقه الإسلامي بالفكر الروماني وغيرها من القضايا مثل أن الإسلام انتشر بحد السيف، وغيرها من القضايا التي تطرحها الحركة الاستشراقية بقوة، فلو كان هناك موسوعة متخصصة في الرد على المستشرقين ثم تعد هذه الموسوعة ثم تترجم إلى لغات أجنبية مختلفة؛ لاشك أنها تعالج موضوع حيوي مهم ويعد من أهم الأمور في مواجهة الحركة الاستشراقية.

٦. من الأمور المطروحة والأساليب التي طرحها د/**محمود حمدي زقزوق دائرة معارف إسلامية جديدة تكون شاملة وعامة لجوانب الإسلام وجوانب الحضارة الإسلامية والفكر الإسلامي**، هذه الدائرة تكون بديلا لدائرة المعارف الاستشراقية التي تعرف باسم "**انسيكلوبيديا أف إسلام**" فلو استطعنا القيام بهذه الدائرة ثم ترجمت إلى اللغات المختلفة ونشرت ووضعت في المكتبات في الجامعات الغربية لأصبحت بديلا مناسبا لدائرة المعارف الاستشراقية، وخاصة أن عدداً من الطلاب يعودون إلى دائرة المعارف الاستشراقية، فوجود دائرة معارف إسلامية جديدة لاشك أنها من الأساليب المناسبة والمهمة لمواجهة الحركة الاستشراقية.

٧. من الأمور المهمة أيضا لمواجهة الحركات الاستشراقية: **ترجمة إسلامية لمعاني القران الكريم بجميع اللغات المختلفة**، وهنا نشيد بجهود مجمع الملك فهد فيما يتعلق بنشر القرآن الكريم وترجمة معانيه، فقد ترجم إلى لغات عديدة قد وصلت في حد علمي إلى أكثر من **ستة وأربعـ٤٦ ــين لغة**، ولعل من آخرها ترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغة البرتغالية، فلا شك أن ترجمة معاني القرآن الكريم اهتم بها مجمع الملك فهد، وخطى خطوات مشكورة في هذا المجال، ونحن مازلنا في حاجة لمزيد من الترجمات لمعاني القرآن الكريم إلى لغات مختلفة ومتعددة، ولكن قطعنا شوطاً جيداً في سنوات محدودة، ولو نظرنا إلى الإنجيل وترجماته لوجدنا هناك اهتماماً كبيراً وبارزاً لترجمات الإنجيل إلى لغات مختلفة متعددة.

٨. من الأمور المهمة ومن الأساليب الجيدة في مواجهة الحركة الاستشراقية: **مؤســسة إسلامية عــلمية عالمــية**، د/ **زقزوق** يفرق بين المؤسسة وبين موسوعة الرد على المستشرقين:

فموسوعة الرد على المستشرقين تتعلق فقط بالرد على المواضيع التي طرحت من قبل الحركات الاستشراقية.

أما المؤسسة الإسلامية العلمية العالمية فتهتم بالقضايا العلمية، ويقترح أن تكون هناك شريحة كبيرة من الباحثين والمختصين في جميع المجالات؛ تقوم بإصدار المجلات العلمية، والبحوث، وتقوم بإجراء دراسات في الأمور المرتبطة بالإسلام، ولعل من القضايا الحساسة والمهمة الآن **قضية التخويف من الإسلام** بما يسمى **(إسلام فوبيا)** وأنا أتصور أن هذا الموضوع بحاجة إلى دراسة علمية متميزة تبين الأطروحات التي تدعو إلى التخويف من الإسلام وتخويف الناس منه، لتحقيق غرض وهو إبعاد الناس عن الدين الإسلامي وعن التعرف عليه وأيضا عن قبوله.

٩. من الأساليب التي طرحت من قبل د/ **زقزوق** لمواجهة الحركة الاستشراقية: **جهاز عالمي للدعوة الإسلامية يهتم بدعوة غير المسلمين في البلاد الغربية**، ولو نظرنا إلى الإقبال على الإسلام لوجدنا أن هناك إقبالاً كبيراً على الدين الإسلامي، وكل الإحصاءات تشير إلى أن الدين الذي ينتشر بسرعة هو الدين الإسلامي، ولاشك أنه نتيجة للإقبال والانتشار للإسلام نحن بحاجة إلى أناس لهم الاختصاص في الاهتمام بالمسلمين الجدد، كيفية الاهتمام بهم، التأثير عليهم، وضع برامج لهؤلاء الناس، عدم فتح المجال إليهم للإنتكاسة والرجوع عن الإسلام، فلابد من وضع برامج عملية يكون من اختصاص الجهاز العالمي

للدعوة.

١٠. من النقاط التي طرحت لمواجهة الحركة الاستشراقية: **الاهتمام بتنقية التراث الإسلامي**، ويقصد بالتراث: نتاج المسلمين في جميع المجالات، فلابد أن يعاد النظر في هذا التراث وأن ينقّى، وخاصة أنه يوجد في بعض الكتابات لاسيما الكتابات المتأثرة بالفكر الاستشراقي كتابات غير صحيحة وغير دقيقة، فلو نظرنا مثلا إلى الكلام الذي يطرح قولا حول قضية التحكيم -ولاسيما إذا كان المؤرخ ينقل عن مستشرق- فلاشك أنه سوف يقع في بعض الأخطاء المتعلقة بوصف الصحابة بأوصاف غير لائقة وغير مناسبة، أو الحديث عن بعض القضايا الموجودة في التأريخ الإسلامي مثل الكلام عن هارون الرشيد بكلام غير دقيق عن بعض الأوصاف التي وصفت به، فلا شك أننا بحاجة إلى أن نعيد النظر في التراث الإسلامي، بحاجة إلى أن يبين غير الصحيح وأن يخرج، بلا شك أن تنقية التراث الإسلامي لا تصل إلى أهمية النقاط السابقة التي ذكرنا.

١١. من النقاط التي طرحت أيضا: **الحضور الإسلامي في الغرب**، ويقصد به الحضور في المؤسسات العلمية من خلال الجامعات ومن خلال مراكز البحوث ومن خلال المراكز الثقافية، وأيضا التعامل والتعاون مع الجامعات الغربية فيما يخدم الإسلام والمسلمين.

١٢. أيضا من النقاط التي طرحت **الحوار مع المستشرقين المعتدلين**، فلا شك أننا بحاجة إلى أن نتحاور مع المستشرقين المعتدلين، المستشرقين المحايدين، وإنما نتحاور معهم بحيث أن هذه النقاط تبث وتبرز لمواجهة الكتابات غير المنصفة أو غير الحيادية

١٣. النقطة الأخيرة التي طرحت: **دار نشر إسلامية عالمية تهتم بنشر البحوث والكتابات والمؤلفات في البلاد الغربية**، لأنه قد تجد بعض الصعوبات في نشر بعض الكتابات والمؤلفات، ولعل "**روجيه جارودي**" واجه بعض الصعوبات في طبع ونشر بعض كتبه، فلاشك أن وجود دار نشر إسلامية عالمية تسهل هذا الأمر.

وفي نهاية هذه الحلقة نلخص النقاط التي أشرنا إليها:

طرحنا مجموعة من الأساليب لمواجهة الحركة الاستشراقية وذكرنا من النقاط:

إيجاد حصانة داخلية لدى أبناء المسلمين بالتركيز على الجانب العقدي، الاهتمام بالعقيدة الإسلامية، الاهتمام ببيان التشريع الإسلامي، الاهتمام ببيان الإسلام، غرس مفاهيمه في نفوس أبناء المسلمين، بحيث توجد حصانة قوية داخلية لمواجهة الحركة الاستشراقية، تحدثنا أيضا عن تدريس مادة الاستشراق والتنصير في الجامعات، وتحدثنا في شكل مفصل عن هذا أيضا إجراء الدراسات والبحوث ولا سيما البحوث والدراسات المتعلقة في مرحلة الدراسات العليا في الماجستير والدكتوراة، وتكون مرتبطة بموضوع الاستشراق سواء كان حول أهدافه أو وسائله أو شبهات المستشرقين والردود عليهم أو غيرها من الأمور، وكذلك تحدثنا عن إعداد قيادات وكوادر علمية متميزة تقوم بالتعليم في الجامعات في البلاد الغربية، وتحدثنا عن أهمية إعداد هذه الكوادر وأنها لو أعدت إعداداً جيداً ثم عملت بالتعليم في الجامعات الغربية لأصبحت بديلا عن مجموعة من المستشرقين، وأيضا تحدثنا عن الأساليب التي طرحت من قبل الكاتب والباحث **محمود حمدي زقزوق** في كتابه الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري.

الحلقة (١٦)

- **القسم الثاني: التنصير**

موضوعنا في هذه الحلقة عن مفهوم التنصير، عندنا كلمة التنصير فنريد أن نتحدث عن مفهوم هذا المصطلح،

كلمة التنصير: تعد مصدراً للفعل نصّر، بتشديد الصاد، وهو الدخول في النصرانية، أو الدخول في دين النصارى وفي الحديث الشريف قوله ﷺ: (كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه-يجعلانه نصرانيا- أو يمجسانه).

فكلمة التنصير معناها: الدخول في دين النصارى أو الدخول في النصرانية.

المعنى الاصطلاحي لمفهوم التنصير أو لكلمة التنصير لوجدنا أنها **عرف التنصير بعده تعريفات وسنذكر بعض هذه التعريفات:**

عرف التنصير بمفهومة الجديد: بأنه الدعوة إلى دين النصرانية ومحاولة نشر هذا الدين في أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المتنوعة.

التعريف الآخر: عرف بأنه حركة دينية سياسية استعمارية، بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية، بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة، وبين المسلمين بخاصة، بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

- لو نظرنا إلى التعريفين لوجدنا أن التعريف الأول أقصر من التعريف الثاني، وهذا جانب محمود في التعريف، لكن لو نظرنا إلى التعريف الثاني لوجدنا أنه اشتمل بعض النقاط والأمور التفصيلية وأتصور أنها مهمة، وعندما ذكر **بأن التنصير مرتبط بالاستعمار**، وهذه أنا أتصور من القضايا المهمة، ذكر نقطة في التعريف الثاني **أنه بدأ بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية** وأنا أتصور أن هذه الجزئية ليس لها ضرورة لأنها تتحدث عن جانب تاريخي، الجانب الآخر **هو قضية الهيمنة والسيطرة على الشعوب** وهذا يلقي الضوء على أن التنصير أيضا مرتبط بالنظرة الفوقية والرغبة في الهيمنة والسيطرة على الشعوب غير النصرانية، **لا شك أن التعريف الثاني له بعض المزايا، كما أن للتعريف الأول فيه مزية القصر.**

عندنا مصطلح مرادف لمصطلح التنصير: هو مصطلح (**التبشير**) فنجد أن بعض الكتاب يستعمل مصطلح التبشير وبعضهم مصطلح التنصير، فلعلنا نلقي الضوء أيضا على مصطلح التبشير.

التبشير في اللغة العربية: مصدر للفعل (بشرّ)، واسم المصدر منه البشارة أو البشرى.

والمقصود به: إيصال رسالة أو خبر ما يؤثر في شكل الوجه إما إيجابا أو سلبا.

ولو نظرنا إلى الاصطلاح اللغوي: البشارة إذا لم تكن مقيدة فتكون بالخير، أي إذا لم تقيد بأي أمر آخر مثل الشر أو غيره فيكون المقصود بها الخير، وهناك آيات قرآنية تشير إلى هذا المعنى منها **قول الله تعالى**: {**فَلَمَّا أَن جَاء الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً**}

البشارة إذا أطلقت فتكون في الخير والجانب الايجابي، وهناك آيات قرآنية كثيرة منها **قول الله تعالى**: {**وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ**}.

أما إذا استخدمت في الشر فلا بد من تقييدها كما قال الله: {**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**}.

والمعنى الاصطلاحي للتبشير من وجهة النظر النصرانية: إيصال البشارة والأخبار الجيدة إلى الناس.

ننوه بأن الأصح أن يستخدم مصطلح (التنصير) وأن لا نستخدم مصطلح (التبشير) ويؤكد هذا الآمر نقاط عديدة أهمها:

النقطة الأولى: أن مصطلح التنصير أقوى في الدلالة من مصطلح التبشير، ولذلك العبارات والألفاظ لها أهمية في المدلولات التي تحملها هذه المصطلحات وهذه الألفاظ، ومصطلح التنصير أقوى في الدلالة لأنه يربط الأمر بقضية الديانة النصرانية، بخلاف مصطلح التبشير.

النقطة الثانية: أن استخدام مصطلح التبشير على الإطلاق وبدون تقييد أنه مخالف للغة العربية وللاصطلاح العرفي، لأن

البشارة إذا أطلقت فالغالب أنها تكون في أمر حسن وإيجابي، ولذلك نحن نستخدم كلمة البشارة إذا جاءنا مولود أو إذا نجح الطالب، إلخ، فاستخدام البشارة في التنصير لاشك أنه مخالف للغة العربية، لأن إدخال الناس في الديانة النصرانية ليس أمراً حسناً من وجهة نظرنا نحن المسلمين.

النقطة الثالثة: أن استخدام مصطلح التبشير فيه إخفاء لأمر مهم وهو إخفاء لحقيقة ما يريد وما يقصده المنصّر، فالمنصّر عندما يبشر بدين نصراني هو يريد نقل هذا المسلم من دينه يريد رد المسلم عن دينه ولاشك أنّ هنا فيه إخفاء حقيقة هذا الأمر، ولذلك نجد أن القرآن الكريم أشار إلى قضية رغبة أهل الكتاب في تغيير معتقد المسلم وفي رده عن دينه، **قال الله تعالى: {وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُواْ وَاصْفَحُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}** للأسباب التي أشرنا إليها أو لغيرها من الأمور؛ نرى أن الأصح أننا نستخدم مصطلح التنصير بدلا من مصطلح التبشير.

نسأل سؤال: لماذا أصبحت الديانة النصرانية ديانة عالمية أممية مع أنها لم تكن كذلك؟

الكتابات تشير إلى أن (بولس) **هو المؤثر في الديانة النصرانية، وهو أدخل فيها أموراً كثيرة لم تكن فيها، فالكتابات تشير أنه كان من أصل يهودي ثم تنصّر، ولذلك جمع فيها أموراً كثيرة، تعاليم كانت موجودة في الديانة النصرانية ثم أدخل فيها أشياء وثنية كثيرة باعتبار تأثره بالوثنية.**

لو نظرنا إلى الديانة النصرانية لرأينا أن عدداً من الغربيين والمنصِّرين يرون أهمية نشر الديانة النصرانية ويرون أنها ديانة عالمية، **(بولس)** هو الذي كان وراء ذلك، وتشير النصوص إلى أن هناك نص موجود في إنجيل **(متّى)** في الإصحاح العاشر يقول "ذهبوا وتلمذوا جميع الأمم، وعمِّدوا باسم الأب والابن وروح القدس" هذا النص من إحداثات **بولس**، ومن هذا النص جعلت الديانة النصرانية ديانة عالمية أممية عندما قال "اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم" باعتبار أنه لابد من نشر الديانة النصرانية، ويستشهد بهذا النص عدد من المنصِّرين على ضرورة نشر الديانة النصرانية.

أيضا **بولس هو المؤثر، فأدخل عقيدة (التثليث) في الديانة النصرانية من خلال النص الذي ذكرناه في إنجيل متّى في الإصحاح العاشر**، النص من إدخالات بولس جعل الديانة النصرانية ديانة عالمية أممية، **فبولس** يعد شخصية مهمة وبارزة ومؤثرة في النصرانية، وكما ذكرت أن عددا من المنصِّرين من أشهرهم **(صَمْوَيْل زُويمَر)** يرون ضرورة وأنه واجب القيام بنشر الديانة النصرانية، وينطلقون من النص الذي أحدثه **بولس** وهو موجود في إنجيل **(متّى)** وفي غيره من الأناجيل في الإصحاح العاشر.

لعلنا نعود ونوجز الحديث في الأمور والنقاط التي تحدثنا عنها فيما يتعلق في مفهوم التنصير، والمقارنة بينه وبين مصطلح مرادف له وهو مصطلح التبشير.

كما ذكرت في بداية الحلقة أن كلمة التنصير: أنها مصدر للفعل نصّر بتشديد الصاد، وهو الدخول في النصرانية أو الدخول في دين النصارى، **وذكرنا حديث الرسول ﷺ في هذا المجال عندما قال: (كل مولود يولد على الفطرة)** هذا يؤكد أن الإنسان يولد على الفطرة وأنه مفطور على الاعتقاد الصحيح، ولكن البيئة التي تحيط بالإنسان تكون لها تأثيراً على الشخص، فإما -كما ذكر في الحديث- تحوله إلى اليهودية أو إلى النصرانية وهو موضوعنا أو إلى المجوسية أو غيرها، لكن الحديث لم يتحدث عن قضية الإسلام باعتبار أن الإنسان يولد مفطورا على الاعتقاد الصحيح وعلى الاعتقاد بالإسلام، ولكن البيئة التي تحيط به تؤثر عليه.

وتحدثنا عن الجانب الاصطلاحي وذكرنا مجموعة من التعريفات الاصطلاحية **منها التنصير بمفهومة الجديد**: الدعوة إلى دين

نصرانية، ومحاولة نشر الدين النصراني في أنحاء العالم بالوسائل والأساليب المتنوعة.

أيضا ذكرنا التعريف الآخر: بأن التنصير حركة دينية سياسية استعمارية بدأت بالظهور إثر فشل الحروب الصليبية بغية نشر النصرانية بين الأمم المختلفة في دول العالم الثالث بعامة وبين المسلمين بخاصة بهدف إحكام السيطرة على هذه الشعوب.

تحدثنا عن هذه التعريفات، تحدثنا عن مزايا التعريف الأول، ومزايا التعريف الثاني، ثم بعد ذلك **تحدثنا عن مصطلح التبشير أنه في اللغة العربية**: من مصدر الفعل بشر، واسم المصدر منه البشارة أو البشرى، **وأن المقصود به**: إيصال الرسالة أو خبر يؤثر في وجه الإنسان إيجابا أو سلبا.

ثم تحدثنا عن الاصطلاح اللغوي: البشارة إذا لم تكن مقيدة فتكون في الأمور الحسنة في أمور الخير، واستدللنا على ذلك بآيتين من القرآن الكريم، أما إذا استخدم التبشير أو البشارة إذا استخدمت في الشر فلا بد من التقييد، ثم استدللنا على ذلك بآية من القرآن الكريم.

لعلنا نشير هنا إلى أن المصطلح فيما يتعلق بالتنصير أو التبشير في اللغة الإنجليزية هو (evangelizin **ايفانجيليزن**: التنصير) أو (evangelization **ايفانجيليزشن**: عملية التنصير) وهي عملية تنصير الناس وتغيير عقائدهم، تترجم إما إلى تنصير وهو الأولى والأصح، أو تترجم إلى تبشير.

وهناك مصطلح يسمى: (**مشن** Mission: البعثة أو الإرسالية) أو (Missionary **الميشنري** المقصود بها المنصِّرون) الذين يعملون في الإرساليات، ولاشك كما ذكرت أن عدداً من المترجمين يترجمون الكلمات (evangelism أو evangelization أو(Mission) بالتبشير والأصح أن تترجم إلى التنصير، ولعلنا تحدثنا عن أن الأصح أن نستخدم مصطلح التنصير بدلا من مصطلح التبشير، لأسباب عديدة ذكرت منها أن مصطلح التنصير أقوى في الدلالة من مصطلح التبشير، فإيقاعه أقوى، تأثيره ظاهر، والعبارات لاشك أنها مهمة ومدلولات المصطلحات لاشك أنها في غاية الأهمية، أيضا نقطة ثالثة ذكرنا أنها مخالفة للغة العربية، لأن البشارة إذا أطلقت في الغالب تكون شيء إيجابي، وإدخال الناس النصرانية ليس شيئا حسنا إطلاقاً من وجهة نظرنا، قد يكون من وجهة نظر النصارى كذلك، لكن نحن نتحدث عن وجهة نظرنا والأصح أننا لا نستخدم التبشير، ذكرت نقطة ثالثة في مصطلح التبشير أن المصطلح يخفي بعض الأمور بعض الحقائق التي لا يود النصارى والمنصِّرون إظهارها وإبرازها، وهو رد المسلم عن دينه تغيير معتقده، إنما كلمة تبشير لا توضح هذا الأمر، بخلاف كلمة التنصير التي توضح هذا الأمر واستدللنا على ذلك بآية من القرآن الكريم.

ختمنا حديثنا بالحديث عن كيف تحولت الديانة النصرانية إلى ديانة عالمية أممية، وتحدثنا عن تأثير **بولس** القوي في الديانة النصرانية، وأنه أدخل في الديانة النصرانية أموراً كثيرة ليست فيها، ومما أدخل **عقيدة التثليث** وكذلك **جعل الديانة النصرانية ديانة عالمية أممية**، وهذا موضوعنا، فالنص الذي أدخله بولس موجود في الأناجيل، ومنها إنجيل متَّى الإصحاح العاشر (اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم) يستشهد فيه عدد كبير من المنصِّرين ومنهم (**صمويل زويمر**) على أن الديانة النصرانية ديانة عالمية، وأنه لابد على المنصِّر أن يدعوا إلى دينه وأن يقوم بالتنصير، وأن هذا واجب من الواجبات الدينية الملقاة على عاتقهم، بلا شك أن **بولس** ونصه هو الذي جعل الديانة النصرانية ديانة عالمية، وجعل قضية التنصير قضية محورية قضية مهمة فيما يتعلق بالديانة النصرانية.

الحلقة (١٧)

نشأة التنصير وتطوره وأهدافه

بلا شك أن المؤرخين اختلفت آراؤهم حول بداية التنصير:
بعض المؤرخين يرى أن **بداية التنصير** مع الحروب الصليبية، البعض يرى أن الحروب الصليبية هي بداية التنصير، وأن الحروب الصليبية هي عملية تنصير موجه للمسلمين.
البعض يرى أن أثناء الحروب الصليبية بدأت الحركة التنصيرية، ويشيرون إلى شخصية مهمة بارزه في الحروب الصليبية، وهي شخصية لويس التاسع الذي هُزم وأسر، لمّا أسر بدأ يفكر في طرح استراتيجية طرح وسائل مواجهة للإسلام ومخالفة للحروب العسكرية.
نحن نعلم أن لويس التاسع دعا إلى إيقاف الحروب العسكرية على العالم الإسلامي، لأنه من وجهة نظره أنها لم تستطع أن تحقق شيئاً، ولكنه دعى إلى حرب أخرى جديدة، **ودعى إلى إيقاف الحملات العسكرية وأن تبدأ الحملات السلمية، ودعا إلى إيقاف الحروب العسكرية وأن تبدأ حرب الكلمة.**
ولذلك نتيجة لدعوة لويس التاسع؛ نجد أن الكنيسة توجهت إلى حرب جديدة، هذه الحرب الجديدة إما تتمثل في الاستشراق كما تحدثنا عنه في الحلقات المرتبطة في موضوع الاستشراق، وبخاصة في العوامل التي أثرت في ظهور الحركة الاستشراقية، أو في الأمور المرتبطة بالتنصير، ولذلك نجد أن الكنيسة اتجهت إلى أمور عديدة منها:
-تجنيد القساوسة والرهبان لمحاربة الإسلام (بإثارة الشبهات حوله، والكتابات السلبية، والتخويف من الإسلام لمحاولة محاربته).
-أيضا السعي إلى إيقاف انتشاره من خلال الحملات التشويهية المغرضة، لذلك يركزون على قضايا معينة في الإسلام توضع في غير قالبها الصحيح، والهدف التخويف منه، وإيقاف المد الإسلامي.
-أيضا من النقاط المرتبطة بالتنصير تجنيد القساوسة للذهاب إلى البلاد الإسلامية، والدعوة إلى النصرانية (بمفهوم آخر وهو التنصير).
لذلك نرى عدداً من المؤرخين يربطون تاريخ التنصير ونشأته بالحروب الصليبية، إما بدايتها باعتبار أنها تمثل حرب دينيه مؤثرة من وجهة نظرهم، أو باعتبار ما تمخضت عنه هذه الحروب العسكرية من أطروحات ودراسات وتوصيات، ولعل أهمها ما ذكرناه فيما يتعلق بلويس التاسع، ومطالبته بأن تبدأ حملات سلمية متمثله في الغزو الثقافي في الحرب الفكرية، أيضاً في عملية التنصير وإيقاف المد الإسلامي.
هناك عدد من المؤرخين يرون أن بداية التنصير الفعلي تعود إلى المنصر ريموند لول الذي تولى التنصير بعد فشل الحروب الصليبية، والهدف نشر النصرانية، وتشير الكتابات أن **ريموند لول** تعلم اللغة العربية ووجد صعوبة في تعلمها وبعد ما تعلمها أخذ يتجول في البلاد الإسلامية على وجه التحديد الشام، وأجرى عدداً من النقاشات والحوارات مع عدد من أبناء المسلمين.
بلا شك أن التنصير تطور، واتضح تطوره أثناء فترة الاستعمار (الاحتلال) الغربي لعدد كبير من البلاد العربية والإسلامية، وكان ذلك في القرنين التاسع عشر والعشرين، وبدأ التنصير يتركز في طابع تنظيمي، في طابع منظمات، في طابع إرساليات، في طابع مؤسسي من خلال هيئات ومنظمات وجمعيات.
من أبرز هذه الجمعيات التي عملت في التنصير في القرن التاسع عشر جمعية لندن التبشيرية وجمعية الشبان المسيحيين وغيرها.

النقطة المهمة أن التنصير تطور من **جهود أفراد وأشخاص وقساوسة رهبان** إلى **جمعيات** إلى **منظمات** إلى **هيئات** إلى **إرساليات**، ولا شك أن هذا يعد نقلة نوعية فيما يتعلق بالتنصير، هذا فيما يخص نشأة التنصير وتطوره وذكرناه على سبيل الإيجاز والاختصار لدواعي الوقت.

ننتقل إلى النقطة الأخرى في موضوعنا في هذه الحلقة وهي أهداف التنصير

بلا شك أن التنصير يسعى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف، هذه الأهداف وضعت ونصبت ويسعون إلى تحقيقها، أو تحقيق نسبه منها، **فمن أهداف التنصير ما يلي**:

الهدف الأول: **السعي الجاد لمنع النصارى وغير النصارى من الدخول في الإسلام**، وهم يسعون إلى منع الناس من قبول الإسلام من خلال الشبهات، ومن خلال الشكوك، ومن خلال الحملات المغرضة، ومن خلال التخويف من الإسلام، أو من بعض القضايا المرتبطة بالإسلام، والتخويف من المسلمين، فلا شك أن من أهداف التنصير جانب وقائي، وجانب محافظة على النصارى من قبول الإسلام، وأيضا المحافظة على غير النصارى من اعتناق الإسلام، لأنهم يعلمون أن ازدياد عدد من يدخل الإسلام فيه تقوية لهم، وبالتالي يتخوفون والدين الإسلامي ينافس الدين النصراني من حيث العدد ومن حيث القبول.

الهدف الثاني: **السعي إلى إخراج جزء من المسلمين من دينهم** هم يعرفون أنه من الصعوبة بمكان إدخال الناس أو المسلمين عامة وكافة في الديانة النصرانية، لكنهم يسعون إلى إدخال شريحة وعدد من أبناء المسلمين، ولا شك أنهم يسعون إلى إدخال شريحة من أبناء المسلمين في الديانة النصرانية.

صموئيل زويمر كما ذكرت هو أبرز المنصرين، ذكر بأن هناك صعوبات كبيرة في تنصير المسلمين، وطرح وجهات نظر متعددة في هذا الجانب، منها بعض المطالبات بإيقاف التنصير على المسلمين والعالم الإسلامي، لأنه ليس هناك نتائج إيجابيه مثمرة من الجهود التنصيرية.

ثم طرح وجهة نظر أخرى وتحمس لها ودعا لها ومقتنع بها وهي أهمية مواصلة العمل التنصيري بالنسبة للمسلمين وإن كانت النتائج غير مجدية، مقارنة بالإمكانيات الضخمة التي بين أيديهم وفي أيدي المنظمات التنصيرية، فلذلك **زويمر** يرى أهمية الاستمرار في العمل التنصيري، وإن كانت الثمار محدودة أو قليلة، ويرى أنه من الواجبات الدينية عليهم في الديانة النصرانية، بغضِّ النظر عن النتائج والثمار وإن كانوا يسعون إلى تحقيق ثمار ونتائج إيجابية ملموسة.

الهدف الثالث: **تشويه الإسلام والتشكيك فيه، والتركيز على الطبقة والفئة التي لا تقبل بالديانة النصرانية** (وهم يقسمون المسلمين إلى ثلاث فئات: فئات تقبل التنصر، فئات يعرفون أنها لا تقبل بالتنصر، لكن يسعون إلى تشويه الإسلام والتشكيك فيه وتشويه صورته والتأثير في أبناء المسلمين بحيث تصبح عندهم صورة مشوهة ومغلوطة) وهنا نجد أن التنصير يلتقي مع الاستشراق في هذا الجانب (وهو يلتقي معه بجوانب عديدة) وهو أن التنصير يسعى إلى تشويه الإسلام والتشكيك فيه كذلك الاستشراق يسعى إلى التشويه والتشكيك، ولكن التنصير يسعون إلى التشكيك والتشويه باعتبار أنه مرحلة أولى للوصول إلى مرحلة يرغبون ويسعون إلى نقله الديانة النصرانية.

الهدف الرابع: **تمزيق الوحدة الإسلامية**، بلا شك أن تفريق المسلمين وتفريق شملهم وعدم اجتماعهم يخدم الاحتلال ويخدم الاستشراق، وكذلك يخدم التنصير، لأنه إذا تفرق المسلمون لا شك أنه يسهل الوصول إليهم والتأثير عليهم، لذلك حديث الرسول ﷺ (إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية) فلا شك أن ذهاب وحدة المسلمين وتمزقهم هي عوامل معينة ومساعدة للتنصير والتفرد بالمسلمين والسعي إلى تغيير معتقداتهم والسعي إلى تشويه رؤيتهم ونظرتهم عن الإسلام.

يقول أحد المنصرين وهو **لورنس براونس** (إذا اتحد المسلمون في إمبراطورية عربية -يقصد الإسلامية لكن الغرب يخلط بين المسلمين والعرب- أمكن أن يصبحوا لعنة على العالم وخطراً، أو أمكن أن يصبحوا نعمة له) وهذا كمقدمة، والجانب المهم في موضوعنا هو قوله (أما إذا بقوا متفرقين -وهو ما يسعى له- فإنهم يظلون حينئذ بلا وزن ولا تأثير) ولا شك أنه صدق في الثانية، فلا شك أن المسلمين إذا تفرقوا أنه يضعف مكانتهم وقيمتهم ويضعف تأثيرهم، وهذا ما تسعى إليه الحركة التنصيرية.

الهدف الخامس: تعميق فوقية الغرب، وتعميق فوقية الرجل الغربي، بلا شك أن الجانب المهم وهو قضية الفوقية للغرب أمر بالنسبة لهم بحيث أنه مبرر للتحكم بالآخر والتأثير فيه، ومحاولة نقله إلى ما هو موجود عندهم، أيضاً تسهل قضية الهيمنة والسيطرة، لأن الآخر كلما كان ينظر أنه أقل وأدنى لا شك أنه يتطلع لما هو أعلى منه ولما هو في مرتبة عالية فتجد أنه يقبل بالآخر ويخضع له، ولذلك مع الأسف توجد في العالم الإسلامي الآن قضية القبول للغرب، والقبول للثقافة الغربية باعتبار أنهم ينظرون إلى أنهم في درجة أقل وفي درجة أدنى، فنجد أن التنصير يسعى إلى تحقيق هذا الهدف وإلى النظرة الفوقية ويستخدمونها في قضية التنصير، باعتبار أن الديانة النصرانية هي الديانة التي يجب أن تسود، والمفاهيم النصرانية هي المفاهيم الأولى بالسيادة، وهي الأولى بالانتشار، وهي المفاهيم الأولى بالنشر، ونلحظ هذا الأمر من خلال الأطروحات الموجودة في الحركة التنصيرية أو في الثقافة الغربية بوجه عام.

الهدف السادس: نشر المفاهيم الغربية والثقافة الغربية، ولا شك أن المفاهيم الغربية -سواء كانت عامه أو مفاهيم غربية مرتبطة بالدين النصراني- لاشك أنها تساعد على نشر التنصير وغالباً أن الإنسان الذي يقبل بالمفاهيم الغربية يصبح أسهل في عملية التنصر، ويصبح أيسر في عملية مواجهة ومقاومة التنصير.

بلا شك أن من يقبل بالمفاهيم الغربية وبالثقافة الغربية من الممكن الوصول إليه من خلال المنظمات التنصيرية بسهولة، التأثير عليه أكبر، لأن هناك قواسم مشتركه (عندما يقبل بالمفاهيم الغربية) وتوجد قواسم مشتركه بين المفاهيم الغربية الموجودة لديه وبين ما تسعى إليه الحركة التنصيرية.

فلا شك أن المفاهيم الغربية ونشرها تصب في خدمة التنصير بمفهومه العام، لأن هناك مفهوم عام للتنصير وهناك مفهوم ضيق، **فالمفهوم الضيق** هو مجرد إدخال الناس إلى النصرانية.

أما المفهوم العام هو محاولة التأثير في الناس وإبعاد ما يلتزمون به من دين من قيم من معايير، فإذا استطاعوا إضعاف الإسلام في نفوس الناس والقيم والمفاهيم المرتبطة بالإسلام استطاعوا التأثير فيهم بصورة أكبر.

في نهاية هذه الحلقة نقوم بتخليص النقاط التي تحدثنا عنها وأشرنا إليها

في بداية المحاضرة تحدثنا عن نشأة التنصير وتطوره، وتحدثنا أن هناك وجهات نظر مختلفة للمؤرخين حول بداية التنصير، فعدد من المؤرخين يرون أن بداية التنصير جاءت مع الحروب الصليبية، والرأي الآخر يرى أنها بدأت بعد الحروب الصليبية على يد المنصر المشهور **ريموند لول،** عندما تعلم اللغة العربية وزاول العمل التنصيري، وتحدثنا عن تطور مفهوم التنصير وبالتحديد أثناء فترة الاستعمار أو الاحتلال، وأخذت طابع التنظيم من خلال المنظمات والجمعيات والإرساليات وذكرنا أمثلة لتلك الجمعيات، تحدثنا عن النقطة الثانية من نقاطنا المتعلقة بأهداف التنصير وذكرنا جملة من أهداف التنصير، إما أهدافاً مباشرة أو مهمة لمنع الناس وبخاصة النصارى من الدخول في الإسلام أو السعي إلى إخراج جزء من المسلمين من دينهم أو تشويه الإسلام والتشكيك فيه لمن يعرفون أنه لن يدخل في الدين النصراني.

تحدثنا عن تمزيق الوحدة الإسلامية، وكذلك تعميق الفوقية للرجل الغربي والغرب وارتباطها بعملية التنصير، والنقطة الأخيرة في أهداف التنصير تحدثنا عن نشر المفاهيم الغربية والثقافة الغربية وتأثيرها في عملية التنصير.

الحلقة (١٨)

وسائل التنصير وأساليبه

تعددت وسائل التنصير وتنوعت ولعل من أبرزها:

الوسيلة الأولى: **الدعوة المباشرة للنصرانية** بواسطة رجال الكنيسة، سواء أكان ذلك داخل الكنائس أم خارجها، مباشرة أو عن طريق ندوات أو عن طريق حوارات.

ولا شك أن هذه الوسيلة **(الدعوة المباشرة للنصرانية) من أقدم الوسائل**، ولا تزال تستخدم إلى اليوم، وتركز عليها بعض طوائف النصارى وفرقهم، ولعل من هذه الطوائف طائفة **يوهور زنتنيستز** والتي تركز على هذه الوسيلة، وترى أنها وسيلة ناجحة ومهمة فيما يتعلق بالتنصير.

المنصرون توصلوا بعد جهود كبيرة ومضنية في مجال التنصير إلى مجموعة من الوصايا والقواعد ولعل منها:

أ- في مجال تنصير المسلمين العوام يجب على المنصّرين تعلم اللهجات المحلية، هنا نرى أن في مجال تنصير المسلمين العوام لابد على المنصّر أن يعرف اللهجات المحلية، واهتموا بهذا الأمر، حتى أن الأناجيل ترجمت بلهجات محلية.

ب- ينبغي استخدام الوسائل المحببة لدى المسلمين العوام، فهم يدخلون في حديث مباشر مع المسلم العامي بوسيلة تناسبه بتحديثه في موضوع يرون أنه يهم هذا الإنسان العامي.

ج- يجب أن لا نثير نزاعاً مع المسلم، فهم يؤكدون على بعد المنصّرين عن إثارة أي نزاعات مع المسلم لأنها سوف تأتي بنتائج عكسية.

د- يجب إقناع المسلمين بأن النصارى ليسو أعداء لهم، وهذا يركز عليه المنصّرين ويبينون أن النصارى ليسوا أعداء المسلمين، هذه جملة من القواعد والوصايا التي توصل إليها دعاة التنصير للتأثير في الناس.

الوسيلة الثانية من وسائل التنصير هي **التنصير عن طريق التعليم**.

في **القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)** رأى المنصّرون بأن التعليم من أفضل الوسائل لنشر النصرانية، واهتم المنصّرون بالتعليم سواء أكان في المدارس الأولية (ما قبل الابتدائية) أو في الابتدائية أو في الجامعات أو المعاهد والمدارس المهنية، من أمثلة الجامعات جامعة القديس في الهند ونستمع لمقولة الدكتور **واتسون** حول أهمية التعليم بالنسبة للتنصير يقول "إننا في سياستنا الدينية نهتم بالمحتويات لا بالأسماء -فلا يهم أن يكون اسمه إنجيل أو غيره أهم شيء المحتوى- فنحن نُسر حين نستطيع أن نجعل فتى مسلماً يقبل بمبادئ عقيدتنا، وعندما تدخل مبادئ عقيدتنا في حياة ذلك الفتى فإنها تنمو بنفسها" إلى أن يقول "إن الطالب الذي يتركنا -يقصد الذي يتخرج- يمكن أن يعتبر نفسه مسلماً، غير أنه في هذه الحالة يكون شخصاً آخر" الطالب الذي يدرس في الجامعات التنصيرية يبقى اسمه مسلماً ولكنه تأثر بالفكر التنصيري وما يحمل من فكر.

يقول الدكتور **واتسون** "أن الطالب الذي يتركنا بإمكانه يعتبر نفسه مسلماً ولكن بهذه الحالة يكون شخصاً آخر غير الذي جاءنا، وأننا بسياستنا الدينية نستطيع أن نسير الشباب في طريق المسيح".

بلا شك هذا كلام واتسون وهو كلام يبين أهمية وخطورة التعليم، أهميته بالنسبة للحركات التنصيرية، وخطورته على

المسلمين، اهتموا بإنشاء المدارس والجامعات في عدد من البلدان، ولعلنا نشير إلى إحصائية أن عدد المدارس بلغ في اندونيسيا التي افتتحت من قبل الكنيسة عام ١٩٧٤م بلغ عددها **٥٤٠٤ مدرسة**، وهذا بلا شك يعطينا تصوراً عن خطورة هذه الوسيلة من وسائل التنصير.

الوسيلة الثالثة من وسائل التنصير هي **التنصير عن طريق العلاج**

لم تظهر أهمية العلاج كوسيلة للتنصير إلا **في الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)** عندما تشكلت الجمعيات الطبية، لو نظرنا إلى هذه الوسيلة لوجدنا أنها من الوسائل الهامة والمؤثرة في التنصير، قد نطرح سؤال **لماذا اهتم بهذه الوسيلة؟ ولماذا العلاج وسيلة من وسائل التنصير المؤثرة والناجحة؟**

لا شك اهتم المنصّرون بهذه الوسيلة لعدة دوافع، ومن أهمها ما أكده أحد المنصّرين الأطباء قائلا "أن أهداف هذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة" نتنبه إلى كلامه أن الهدف لهذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة، فلاشك أن الشفقة الدينية أمر مهم ومؤثر، فعندما يقومون بعلاج الناس يتخيلون ويتصورون أن هذا بدافع الشفقة وأنه مرتبط بالدين، ولذلك يستطيعون أن يؤثرون في الناس، ولو رأينا إلى المنظمات التنصيرية التي تعمل من خلال العلاج؛ لوجدنا أنها تتواجد في أماكن الكوارث وأماكن الفقر والأماكن المنكوبة، والعلاج يستخدم كوسيلة من الوسائل المؤثرة في مجال التنصير.

الوسيلة الرابعة: التنصير عن طريق المطبوعات

المطبوعات لا شك أنها من وسائل التنصير المتعددة، ويعد **الإنجيل** من أهم المطبوعات على الإطلاق، ولذلك نجد الإنجيل ترجم إلى لغات ولهجات متعددة وكثيرة، وبعد ذلك طبع، ولعل هناك إحصائية إلى أنه طبع من الإنجيل **مليارين ومائة وتسعاً وأربعين مليون وثلاثمائة وواحد وأربعين ألف نسخة (٢١٤٩٣٤١٠٠٠)** بلا شك عدد كبير وضخم من الإنجيل، وكما ذكرت أن الإنجيل يعد من أهم المطبوعات التنصيرية على الإطلاق، وترجم إلى لغات عديدة (الدكتور **أحمد ديدات** ذكر أن الإنجيل ترجم إلى أكثر من **ألفين لغة ولهجة محلية، وذكر بأنه ترجم على ١١ لهجة عربية محلية)** فلا شك أن المطبوعات من وسائل التنصير المهمة، وأهم مطبوعة لديهم هي الإنجيل بعد ترجمته إلى لغات متعددة ومختلفة.

الوسيلة الخامسة: الإذاعات

الإذاعات استخدموها كوسيلة من وسائل التنصير، وبخاصة أن الإذاعة تصل إلى أماكن بعيدة ونائية، وتصل إلى أماكن معزولة، بخلاف القنوات التي تحتاج إلى لاقط، وتحتاج إلى جهاز قد يكون مكلف لبعض الدول الفقيرة، أما الإذاعات فإنها تصل والشخص يستمع لها في عمله أو في حقله أو في سيارته.

من الإذاعات التنصيرية المعروفة **راديو الفاتيكان ونداء الرجاء**، ولاشك أن هذه الإذاعات تتعاون وتتبادل البث وتحاول أن تطرح موضوعات جاذبة للمستمع، وتحاول أن تحصل على عدد من المستمعين والمتابعين لهذه الإذاعات.

الوسيلة السادسة: القنوات التنصيرية الفضائية

ولعلها في هذا العصر (عصر الاتصالات والتقدم التقني والتكنولوجي) نرى قنوات فضائيات تنصيرية عديدة من خلال **الإنترنت** أو **قنوات تلفزيونية** مثل **قناة المحبة وقناة الروح** وغيرها من القنوات المتعددة والكثيرة.

الوسيلة السابعة: التنصير من خلال التدريب والتأهيل.

وهذه من الوسائل الجديدة المستخدمة في التنصير، فنجد مجموعة من المنصّرين يقيمون لهم مركزاً تدريبياً وتأهيلياً ولاسيما

في الدول الأفريقية، ويستقطبون الطلاب في هذا المركز ويقومون ببعض الدورات الأهلية والتدريبية لهم ومتابعتهم وتقديم العون لهم، ويذكر لنا أحد الإخوة بأنه زار أحد المراكز التدريبية وأجرى حواراً مع أحد المسؤولين عن المركز، فلم يجد المظاهر التنصيرية الظاهرة كبناء كنيسة، ولكنه أجرى حديثاً مطولاً معهم، وعرف بأن هذا المركز مركز تنصري ولكنه يخفي هذا الجانب حتى يستقطب عدداً كبيراً من المتدربين في هذا الجانب، **لعل هذه أبرز وسائل التنصير.**

ولعلنا نعيد ونلخص هذه الوسائل التي تحدثنا عنها وأشرنا إليها، لا شك أن وسائل التنصير وأساليبه متعددة ومتنوعة ومنها الجديد ومنها القديم.

الوسيلة الأولى التي تحدثنا عنها وأفضنا في الحديث عنها قلنا **التنصير المباشر،** وفيما يتعلق في الدعوة المباشرة للنصرانية لا شك أنه يقوم بها أناس من الكنيسة، وذكرنا أنه سواء داخل الكنيسة أو خارجها، مباشر أو غير مباشر، من خلال الحوارات واللقاءات والندوات، ذكرنا أن المنصّرين توصلوا إلى مجموعة القواعد والوصايا لكي يكون عملهم مؤثراً وللتأثير في الناس، ذكرنا من ضمن هذه الوصايا والقواعد أموراً يؤكدون في منتدياتهم وحواراتهم ومؤتمراتهم ومنها:

أ-في مجال تنصير المسلمين العوام يجب على المنصر تعلم اللهجات المحلية، ولو نظرنا إلى عدد من المنصرين لوجدنا أنهم درسوا اللهجات وتعرفوا عليها وحاولوا إتقانها وإجادتها والتأثير في الناس من خلال هذه اللهجات.

ب-أيضا ذكرنا أهمية وضرورة استخدام الأساليب المحببة في جذب العوام فإذا أراد العامي أن تتحدث معه عن الزراعة أو الفلاحة وغيرها فعلى المنصّر أن يبدأ الحديث في هذه الأمور، التي تكون مشتركة بين المسلم العامي والرجل الذي يريد أن يؤثر فيه.

ج - البعد عن إثارة النزاعات مع المسلم لأنها تأتي بنتائج عكسية.

د - أيضا ذكرنا إقناع المسلمين بأن النصارى غير أعداء لهم.

الوسيلة الثانية وهي **التنصير عن طريق التعليم** وبينا أنه متى بدأ؟ وذكرنا أنه بدأ في **القرن الثالث عشر الهجري (التاسع عشر الميلادي)** وتحدثنا عن إحصائية في هذا الجانب.

وتحدثنا عن مقولة الدكتور **واتسون** وبينا أهمية التعليم بالنسبة للمنصّرين، وخطورة التعليم على أبناء المسلمين، وفيما يتعلق بالتعليم هم يهتمون بلا شك بالتعليم بحيث أنهم يؤثرون في أبناء المسلمين وأيضا التأثير في البلدان، ولذلك نجد المنظمات التنصيرية تعمل حوافز للمتعلمين وتأخذ بعض الطلاب للدراسة ومواصلة دراستهم العليا، وتهتم بالتعليم، ولا شك أن التعليم مهم جدا، ولعل من إشكاليات المجتمعات المسلمة وخاصة في أفريقا هو الجهل وعدم التعلم، ونشير أن نسبة المسلمين المتعلمين وخاصة في أفريقا تقل عن عدد المتعلمين النصارى.

الوسيلة الثالثة وهي **التنصير عن طريق العلاج** وتحدثنا متى بدأ الاهتمام بالعلاج، وما الدافع وراء العلاج، وذكرنا مقولة أحد الأطباء عندما أكد أن أهداف هذا النوع من الإرساليات هو إضفاء روح الشفقة الدينية على بعثات التنصير الحديثة، وذكرنا وبينا أن المنظمات التنصيرية التي تعمل في العلاج أنها سباقة إلى الأماكن الفقيرة والمنكوبة، وتفيد من هذه الوسيلة في العمل التنصيري.

أيضا تحدثنا عن **الوسيلة الرابعة**: وهي فيما يتعلق **بالمطبوعات،** وتحدثنا عن حجم المطبوعات وبخاصة الإنجيل، وتعدد ترجماته إلى لغات ولهجات متعددة ومختلفة وذكرنا إحصائية في هذا الجانب.

تحدثنا عن **الوسيلة الخامسة**: **الإذاعات** واستخدامها كوسيلة من وسائل التنصير.

تحدثنا عن **الوسيلة السادسة**: **القنوات الفضائية** واستخدامها كوسيلة حديثة من وسائل التنصير في هذا العصر عصر التقنية والتكنولوجيا.

وذكرنا **الوسيلة السابعة**: وهي تتعلق من خلال **التنصير بالتدريب والتأهيل** وهي وسيلة جديدة ومؤثرة فمن خلال تدريب وتأهيل ناس يسعون إلى التنصير ولا شك أنها من الوسائل المؤثرة والظاهرة والمنتشرة في أماكن كثيرة ولا شك أنها تمثل خطورة كبيرة كما أشرنا في المثال الذي ذكرناه.

الحلقة (١٩)

نماذج من أشهر المنصِّرين

صَمْوَيْل زُويمَر: وصمويل زويمر عُرِف بأنه مستشرق ينطبق عليه تعريف الاستشراق والتنصير، فعُرِف بأنه مستشرق كما عُرِف بأنه منصِّر، وإن كان اشتهر **بالتنصير** أكثر من اشتهاره بالاستشراق.

ينطبق عليه تعريف الاستشراق باعتبار أنه درس اللغة العربية، كتب مؤلفات عن الإسلام، عرف حقيقة البلاد العربية عن قرب.

وعُرِف بالتنصير أو اشتهر بالتنصير باعتبار أنه أشهر المنصِّرين في البلاد العربية، ومن المنصِّرين المشهورين البارزين.

صمويل زويمر من الشخصيات البارزة في مجال التنصير واشتهر بأنه عُرِف بأنه رسول الإسلام باعتبار أنه يدعو المسلمين إلى النصرانية، ولذلك يقول أحد الكتَّاب: "لم يستحق أحد هذا الوصف مثل ما استحقه صمويل زويمر".

اسمعوا ماذا يقول عنه **ستانلي مونيهام** رئيس منظمة التصور العالمي التنصِّيرية الدولية يقول: "أين هم الطلبة الذين يدرسون الإسلام والذين يستطيعون أن يباروا طلاب الماضي، ليعطينا الرب رجلاً مثل صمويل زويمر" ماذا حصل زويمر؟ يقول: "ليعطينا الرب رجلاً مثل صمويل زويمر الذي أتقن العربية -**وهذه نقطة** مهمة جداً في المنصِّر، **فزويمر يرونه أنه من المتقنين للغة العربية**، الذي أتقن العربية.

النقطة الثانية:- وكان عالما محترفا في الإسلاميات -فليس فقط معرفة اللغة العربية بل يعتبر من المختصين والمهتمين بالإسلام وبدراسته ولذلك هو يعد من المستشرقين، وكتب مؤلفات عديدة نتحدث عنها فيما بعد- وكان عالماً محترفاً في الإسلاميات ومنصِّراً مقنعاً".

ويقول أيضاً عنه **كنث سكوت** يقول (لم يحدث في تاريخ الكنيسة أن قام أي نصراني بتغطية العالم الإسلامي بعمق في الدراسة والتخطيط والرحلات والدفاع عن الإرساليات مثل صمويل زويمر) فصمويل زويمر يعد من القلائل في تاريخ الكنيسة الذي قام بتغطية العالم الإسلامي، وبدراسته دراسة معمقة، وبالتخطيط للتنصير، وكذلك بالدفاع عن الإرساليات التنصيرية، لعل هذه المقدمة تشوقنا إلى معرفة صمويل زويمر.

صمويل زويمر: ولد في الثاني عشر من شهر أبريل عام ١٨٦٧م، ترتيبه في أسرته الثالث عشر من خمسة عشر لوالديه، عائلة زويمر من أصول هولندية هاجرت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، تشير الكتابات إلى أنها عائلة دينية محافظة، وأنها هاجرت إلى الأراضي الجديدة أو العالم الجديد في الولايات المتحدة الأمريكية.

فيما يتعلق بتعليمه: بدأ تعليمه منذ الصغر، حيث تعلم الهولندية، والإنجليزية، وعمره خمس سنوات، ثم تعلم الألمانية، وكان يتكلم ثلاث لغات في صغره، ويشير أحد الكتاب أنه تعلم ثلاث لغات في صغره مكَّنه وساعده على تعلم اللغات فيما بعد.

التحق بالمدرسة في ملواكي في متشجن، وكان محباً للقراءة، وتشير الكتابات بأنه كان يقرأ الإنجيل ثلاث مرات مع وجبات

الطعام، وكان يهتم بهذا الأمر، التحق بالمدرسة الإعدادية، ثم بكلية هوب، وتخرج منها عام ١٨٨٧م، وحصل على الشهادة من **(كلية هوب)** ويشير مجموعة من الكتّاب إلى أن كلية هوب كانت من الكليات القوية في الأمور أو التعليم أو ما يسمى بالتعليم الكلاسيكي.

فكانت تهتم بالفلسفة واللغات والعلوم الأخرى المختلفة، وأيضاً العلوم الحديثة، فلا شك أن أيضاً تعليمه أعطاه فرصة للتأثير، أيضا تشير الكتابات إلى أن زويمر ورث مجموعة من الصفات التي كانت لوالده منها حب القراءة، حب الكتابة، الارتباط بالكنيسة القوي.

لعلنا نشير إلى بعض النقاط المتعلقة بتكوينه العملي: عائلة زويمر مهدت الطريق أمامه للوصول إلى عالم الغرب، ومن ثم أرسلت العائلة **زويمر** وأخيه أيضاً **بيتر** إلى الجزيرة العربية التي تعد من أصعب المناطق في التنصير، وتوافرت في الأسرة مجموعة من الصفات التي يشير إليها الكُتّاب، منها الإيمان والقوة، الإيمان بمعتقدهم النصراني والقوة في شخصياتهم، لبناء الولايات المتحدة الأمريكية، وإرسال الإنجيل من شواطئها إلى الزاوية البعيدة من العالم.

أيضاً تنشأة صمويل زويمر: فيما يتعلق بمحبة القراءة ومحبة بعض الحرف منها النجارة وتعويده عليها كما كان يفعل والده في تلك الفترة.

أيضاً من الأمور المهمة: الاهتمام ببناء الكنائس قبل إنهاء بناء البيوت.

يقول أحد الكتّاب واسمه **أرنولد مولدر** في كتابه (الأمريكيون من هولندا) يقول: "في غالب الأحيان قبل أن يسقفون المنازل يبدؤون ببناء الكنائس" ولذلك صمويل زويمر كان مرتبطاً بالكنيسة وكان محباً لها وعاملاً فيها.

أيضاً تدريب صمويل زويمر على التعليم والوعظ، وكان أول مشاركة له في التدريس في المدرسة يوم الأحد وكان هذا تطوعا منه وكان يقرأ ورقة من الإنجيل.

أيضاً صمويل زويمر عمل في المدرسة الإعدادية في فترة الصيف، كما أيضاً أنه عمل في موسم الحصاد وذلك لتأمين المصاريف الدراسية.

من التكوين العملي لصمويل زويمر: الدخول في منظمة الطلبة المتطوعين، واستطاع الوصول إلى أن يصبح رئيساً لمنظمة الطلبة المتطوعين في المجال التنصيري، أيضاً التحق بالجمعية الإنجيلية الأمريكية في مدينة نيويورك وعمل معها، واستطاع أن يشتري حصاناً وعربة وأن يقوم بتوزيع الإنجيل.

أيضاً المشاركة بمقالات شهرية عن التنصير في مجلة الأمل، لا شك أن هناك تكوين لصمويل زويمر قبل قراره بالعمل منصراً في البلاد العربية، تشير الكتابات إلى أنه جاء إلى بيروت وتعلم اللغة العربية ثم انطلق منها لإيجاد مكان مناسب للإرسالية العربية، وتنقل بين عدن والبصرة والقاهرة والبحرين، واستقر في البصرة وأقام أول محطة للإرسالية العربية للتنصير وتنقل منها أيضاً إلى البحرين واستطاع بناء مستشفى، أيضا بالتعاون مع أخيه بيتر بناء مقر للإرسالية العربية في مسقط.

لا شك أن زويمر كما أشرت استطاع أن يؤهل نفسه تأهيلاً جيداً، ولذلك تشير الكتابات أنه أخذ دوره في التطبيب، بعد زواجه مع إحدى الممرضات التي جاءت للعمل التنصيري وقابلها في البصرة، عملوا معاً في مجال التنصير على وجه الخصوص في البصرة وفي مسقط، وكذلك في البحرين.

الجهود النظرية فيما يتعلق بمؤلفات صمويل زويمر: يشير مجموعة من الكتّاب إلى أن مؤلفاته بلغت أكثر من خمسين مؤلفاً

أكثر من خمسين كتابا وله العديد من المقالات كما أن له العديد من الكتابات المشتركة وبعضهم ذكر أن مقالاته غير قابلة للعدّ والإحصاء لكثرتها، أيضا قام بتحرير عدداً من الكتب، ولا شك أنه جُلّ كتاباته واهتماماته بالتنصير وبخاصة تنصير المسلمين.

من جهوده العملية لعل أبرزها الأمور التالي:

الأمر الأول: **تأسيس الإرسالية العربية،** ذكرنا بأنه جاء وتنقل بين أماكن كثيرة، حتى أن أسس الإرسالية العربية، أو أوجد مقراً للإرسالية العربية، هي الإرسالية العربية قام بها ثلاث أشخاص

كان تنج وهو من المشهورين وأحد زملاء صمويل زويمر، **وزويمر،** وشخص ثالث بقي لتوفير الدعم المادي لهم في الولايات المتحدة.

أما زويمر وكان تنج كانوا مباشرين العمل التنصيري فاستطاع بعدما تنقل بين عدن والمكلا وأماكن كثيرة؛ الاستقرار في البصرة، وإنشاء مقر للإرسالية العربية للتنصير.

ولعل أول الأمر الذي ركزوا عليه توزيع الإنجيل باللغة العربية وتقديم العلاج للناس، وكان يستخدم العلاج وخاصة بعد زواجه من الممرضة تعاونوا جميعاً واستطاع أن يعمل من خلال توزيع الإنجيل وكذلك العلاج أن يعمل في مجال التنصير فعمل في مسقط، عمل في البصرة، وعمل في البحرين، كما أن أخيه بيتر عمل في مسقط، أصبحت هناك ثلاث أماكن للإرسالية البصرة والبحرين، وكان فيه **صمويل زويمر،** أما مسقط فكان فيها أخوه **بيتر زويمر**.

الأمر الثاني: **مجلة العالم الإسلامي** الذي رأس تحريرها لمدة سبعة وثلاثين سنة، وبدأت الفكرة لما كان في مؤتمر في أدمبرة، واستمر في رئاستها لمدة سبعة وثلاثين سنة، ويذكر أحد الكتاب أنه على الرغم من مشاغله على الرغم من تنقلاته على الرغم من اهتمامه بالتنصير؛ إلا أنه كان مشرفاً ورئيساً للتحرير لمجلة العالم الإسلامي التي هي مرتبطة بالتنصير وفيها مقالات متعددة وكثيرة واستمرت بالصدور فترة زمنية طويلة، ورأس تحريرها لمدة سبعة وثلاثين سنة، وهذا يؤكد هذا الكلام الذي ذكرته من خلال مقولة **ستانلي مونيهام** في حديثه وإطرائه لصمويل زويمر.

الأمر الثالث: **عقد مؤتمرات تنصيرية عديدة،** ولعل من المؤتمرات التي شارك فيها مؤتمر في أدمبرة منه بدأت فكرة مجلة العالم الإسلامي التي تصدر باللغة الإنجليزية، بالإضافة إلى المجلة التي كانت تصدر باللغة الفرنسية، أيضاً مؤتمر عُقِدَ في القاهرة هو الذي يرى زويمر أنه بداية العمل لتنصير المسلمين، مشاركته في مؤتمرات في الهند، ومؤتمرات عديدة، فلا شك أن زويمر من خلال المؤتمرات قام بجهد عملي، وحاول أن يقنع الناس من خلال المؤتمرات -أيضا مؤتمر عقد في القدس- أن يقنع الناس بأهمية وضرورة التنصير أو العمل على تنصير المسلمين على الرغم من معرفته بأن هناك صعوبات جمة وكبيرة وأصعب منطقة للتنصير بلا شك أن التنصير كما يرون في البلاد العربية.

لعلنا في نهاية هذه الحلقة نلخص ونوجز النقاط التي أشرنا إليها

النقطة الأولى: التي أشرنا إليها أن صمويل زويمر عرف بأنه منصِّر أكثر مما عُرِف بأنه مستشرق وإن كان ينطبق عليه وصف الإستشراق فهو ينطبق عليه وصف الإستشراق، وينطبق عليه وصف التنصير أو وصف مستشرق، ووصف منصِّر، لكنه **اشتهر بالتنصير** أكثر من اشتهاره بالإستشراق وذكرنا اقتباسات أناس يبينون جهود زويمر منهم ستانلي مونيهام وكذلك كنث سكوت.

تحدثنا عن ولادته ونشأته وتحدثنا عن تعليمه وتأهيله، تأثير الأسرة عليه، والده وأمه، أيضاً العائلة عائلة دينية محافظة كما

ذكرنا تتألف من خمسة عشر شخصاً، ترتيب زويمر الثالث عشر، تشير الكتابات إلى أن الأخوات منهم من عمل في التنصير كما أيضاً أن إخوته عملوا كقسس كما أن العائلة مهتمة بالتنصير، وأب زويمر **(أدريان)** حرص على التنصير وكان يرغب في الذهاب، إلى إفريقيا للعمل كمنصِّر لكن استطاع أن يؤهل ابنه صمويل وكذلك ابنه بيتر للقيام بهذه المهمة.

تحدثنا عن التكوين العملي المتنوع والخبرات الواسعة التي حصل عليها صمويل زويمر، وتحدثنا عن جهوده النظرية ومؤلفاته المتنوعة المتعددة، وذكرنا بأنها بلغت أكثر من خمسين مؤلفاً، بالإضافة إلى المقالات المتعددة المتنوعة، بالإضافة إلى المساهمة في إصدار تقارير عن عدد من الكتب، تحدثنا عن جهوده العملية ولعل أبرزها **تأسيس الإرسالية العربية هو وكان تنج** وشخص ثالث وإنشاء **محطات** لهذه الإرسالية في البصرة وكذلك في البحرين ومسقط، أيضاً **مجلة العالم الإسلامي** ورئاسة تحريرها لمدة سبعة وثلاثون سنة، وإسهامه الكبير في المؤتمرات التنصيرية، ولعل أهمها المؤتمر التنصيري الذي عُقِد في القاهرة والذي يرى أنه بداية التنصير الفعلي طبعا العمل لتنصير المسلمين.

الحلقة (٢٠)

وسائل مواجهة التنصير

ولعل هذه الحلقة تعد ثمرة الحلقات التي تحدثنا فيها عن التنصير، فتحدثنا عن التنصير وتعريفه وتاريخه، تحدثنا عن أهدافه، تحدثنا عن وسائل التنصير، تحدثنا عن نماذج من أشهر المنصِّرين، حديثنا في هذه الحلقة عن وسائل مواجهة التنصير وكما ذكرت هو ثمرة الحديث عن التنصير.

كيف نستطيع أن نواجه الحركة التنصيرية؟

قبل أن نذكر جملة من الوسائل لمواجهة التنصير؛ نود أن نطرح إحصائية بالأرقام تتحدث عن الجهود التنصيرية، **لماذا نطرح هذه الأرقام وهذه الإحصائيات؟** لنتعرف على حجم الجهود التنصيرية المبذولة، ومن بعد ذلك نحاول أن نلتمس وإياكم وسائل مناسبة لمواجهة الحركة التنصيرية.

-في إحصائية صدرت عام **٢٠٠٢م** عن إحصائية التنصير، لمركز التنصير العالمي: أشار إلى أن عدد سكان العالم ستة آلاف ومائتين وأربعة بليون، هذا عدد سكان العالم، المركز التنصيري يشير إلى أن **٣٣%** منهم نصارى تشمل كل الطوائف النصرانية المختلفة، و٤٤٪ قد وصلهم التنصير، و٢٧٪ لم يصلهم التنصير، هنا يطالبون بأهمية وضرورة وصول التنصير إلى ٢٧٪ المتبقي.

-عدد المنصِّرين أربعمائة وتسعة وعشرين ألف **٤٢٩٠٠٠** منصِّر، لا شك أنه عدد كبير.

-الميزانية للتنصير الخارجي -ليس للتنصير في داخل الدول الغربية أو داخل الدول النصرانية إنما التنصير الخارجي- ستة عشر مليون **١٦٠٠٠٠٠٠** دولار، هذه الإحصائية صدرت عن مركز إحصائية التنصير العالمي عام **٢٠٠٢م**.

-هناك إحصائية صدرت عام **٢٠٠٠م** قبل الإحصائية الأولى من الناحية التاريخية، ذكر الدكتور **عبد الرحمن السميط** بأن عدد المنصِّرين الأجانب أربعمائة وخمسة عشر ألف **٤١٥٠٠٠** منصر.

-لو رأينا الإحصائية الثانية لوجدنا أن العدد أكثر، هذه أربعمائة وخمسة عشر ألف **٤١٥٠٠٠** بينما الإحصائية لعام **٢٠٠٢م** أربعمائة وتسعة وعشرون ألف **٤٢٩٠٠٠**.

-عدد المنصِّرين المحليين داخل الدول النصرانية أربعة ملايين وتسعمائة وعشرة(**٤٠٠٠٩١٠**).

-بلغ مجموع عناوين الكتب التنصيرية أربعة وعشرون ألف وثمانمائة (**٢٤٨٠٠**).

-بلغ عدد المحطات الإذاعية والتلفزيونية ثلاثة آلاف وسبعمائة وسبعين (٣٧٧٠)محطة.
هذه إحصائية موجزة، لكن تبين حجم خطورة التنصير، تبين الجهود الكبيرة المبذولة سواء كانت المطبوعات أو سواء كانت في عدد الإذاعات أو عدد القنوات أو في حجم التنصير.
في ظل هذه الإحصائيات أو هذه الأرقام كيف نستطيع أن نواجه التنصير؟ ولذلك المسؤولية كبيرة لابد أن تكون هناك مواجهة تتناسب مع حجم الجهود الكبيرة المبذولة.
أقسم أساليب أو وسائل مواجهة التنصير في مجالات متعددة ومختلفة:
أ – المجال الدعوي: من الوسائل المهمة والمطروحة لمواجهة التنصير:
الأمر الأول: **تعزيز الجانب العقدي والدعوي لدى المسلمين عامة، وبالأخص في المناطق المستهدفة بالتنصير،** ونستطيع أن نعزز الجانب العقدي لدى المسلمين من خلال الكتب الإسلامية، من خلال الدروس العلمية، من خلال وسائل أخرى مختلفة.
الأمر الثاني: تعزيز الهوية الإسلامية وتنميتها لدى الطفل المسلم، خاصة نحن في عصر العولمة عصر التقنية، فلابد أن نحرص على تعزيز الهوية الإسلامية في نفوس أبناء المسلمين عامة، وعلى وجه الخصوص في نفوس الصغار التي قد تتأثر بوسائل الاتصال وبالعولمة.
الأمر الثالث: **رعاية المسلمين الجدد** فلابد أن نهتم بالمسلمين الجدد، نضع لهم برامج نحرص على ترسيخ العقيدة في نفوسهم، نحرص على تعليمهم العلم الشرعي الذي يكون حصانة لديهم فلابد أن نحرص على المسلمين الجدد.
الأمر الرابع: **دعم الجهود الدعوية في البلدان المستهدفة من التنصير،** لابد من أن تدعم الجهود الدعوية دعماً معنوياً وغيره في البلدان المستهدفة من التنصير.
الأمر الخامس: **زيادة العناية بترجمة معاني القرآن الكريم** لا شك أن هناك اهتمام كبير لمجمع الملك فهد لترجمة معاني القرآن الكريم، ولكن لابد أن نحرص وأن نزيد الاهتمام وأن نزيد العناية بالترجمة بحيث نستطيع أن ننافس التراجم التي منتشرة فيما يتعلق بالإنجيل، وكما ذكرت بأن الإنجيل ترجم إلى أكثر من ألفي ٢٠٠٠ لغة ولهجة.
الأمر السادس: **التواصل مع المسلمين في كل مكان** فلابد أن تواصل مع المسلمين وأن نعرف واقعهم وأن تعاون معهم في مواجهة الأخطار.
الأمر السابع: **رصد جهود التنصير ومنظماته،** نحن بحاجة إلى معرفة الجهود التنصيرية إلى الحصول على آخر الإحصائيات، للحصول على معلومات عن وسائل التنصير الجديدة، حتى نستطيع أن نواجه الحركة التنصيرية.
الأمر الثامن: **توعية المسلمين في بلدانهم بحقوقهم، وبيان حقوق الأقليات غير المسلمة، وضرورة الإحسان إلى الأقليات غير المسلمة** ولا شك الإحسان تكون له نتائج إيجابية بنَّاءة، هذا فيما يتعلق بالمجال الدعوي.
ب – المجال الصحي والاجتماعي:
الأمر الأول: **لابد أن نعتني بالبرامج الصحية في البلاد المستهدفة، ودعمها وربطها بالتوعية والدعوة،** ولعلنا ذكرنا من وسائل التنصير استخدام المنظمات الطبية، فنحن بحاجة إلى أننا نهتم ونعتني بالبرامج الصحية في البلدان المستهدفة وتُدعم وأن تُربط هذه البرامج بالتوعية والدعوة.
الأمر الثاني: **دعم العيادات الطبية المحلية في المناطق الفقيرة في أمكنة الكوارث في المناطق المنكوبة** توجد عيادات طبية

فلابد أن تدعم هذه العيادات بكوادر مؤهلة تسهم في التخفيف من معاناة المحتاجين والمرضى والمنكوبين.

الأمر الثالث: **الاهتمام بالمشروعات الاجتماعية،** فلابد أن نحرص على المشروعات الاجتماعية وأن نتبناها ونهتم بها، مثل رعاية الأيتام، الأسر الفقيرة، البرامج الاجتماعية الأخرى المختلفة في هذا الجانب.

ج – المجال الإغاثي والإنساني: ولابد أن نسهم في المجال الإغاثي والإنساني من خلال:

الأمر الأول: **الاهتمام بالعمل الإغاثي والإنساني والإفادة منه في صد الهجوم التنصيري على المحتاجين من المسلمين،** فلابد أن نهتم بالعمل الإغاثي والعمل الإنساني حتى نستطيع أن ندفع ونصد الهجوم التنصيري على المحتاجين من المسلمين أيضاً.

الأمر الثاني: **تقديم الإغاثة إلى كل محتاج** فالإغاثة لابد أن تقدم إلى كل محتاج بغض النظر عن معتقده، لأن الإغاثة جانب إنساني ولابد أن نبرز هذا الجانب للناس.

الأمر الثالث: **التعريف بالجهود الإسلامية في مجال الإغاثة، واتخاذ هذه النماذج أمثلة وقدوة،** هذا الجانب نفتقره، مع الأسف لا توجد برامج تبين الجهود الإسلامية في مجال الإغاثة فلابد أن يبرز هذا الجانب وأن نبرز إسهامات المملكة في مجال الإغاثة، واتخاذ هذه الأمثلة قدوة ونماذج لهذا الجانب.

د – المجال التعليمي:

لاشك أن التعليم من الأمور المهمة، وكما ذكرت عند حديثي عن وسائل التنصير أنه من ضمن وسائلهم المؤثرة، فلابد إذا أردنا أن نواجه التنصير، فلابد أن نهتم بالمجال التعليمي من خلال:

الأمر الأول: **الإسهام في إنشاء المعاهد والمدارس والمراكز في البلاد المستهدفة من التنصير** فلابد أن نسهم في إنشاء المعاهد إنشاء المدارس إنشاء المراكز الإسلامية التي تقوم بأدوار متعددة ومختلفة، سواء كانت دينية أو ثقافية أو تعليمية أو اجتماعية، ولعلنا نركز على الأماكن والبلاد المستهدفة من التنصير، فلاشك أن الاهتمام بالمدارس وكذلك الاهتمام بالمعاهد والمراكز الإسلامية التي هي مراكز حضارية ومنارات إشعاع لاشك أنها سوف تسهم في مواجهة التنصير وجهوده.

الأمر الثاني: **إنشاء المحاضن التعليمية** لابد أن نهتم بالصغار، لابد أن نرعاهم منذ الصغر، نحرص على إنشاء محاضن تعليمية **تهتم بالصغار عامة وتهتم بالأيتام على وجه الخصوص.**

الأمر الثالث: **الاهتمام بالدراسات التي تُعنى بالنصرانية** فلابد أن تكون عندنا مراكز دراسات علمية عن النصرانية، عن طوائف النصارى، معلومات علمية جديدة تكون مفيدة وبنّاءة.

الأمر الرابع: **العناية بطلاب المنح القادمين من المناطق المستهدفة** بالتنصير، نؤهلهم تأهيلاً جيداً بحيث أنهم إذا رجعوا إلى أماكنهم يستطيعون أن يسهمون في مواجهة التنصير من خلال مجالات متعددة ومتنوعة، سواء كان في المجال الدعوي أو في المجال التعليمي أو في المجال الإعلامي، أو غيرها من المجالات الأخرى المختلفة.

هـ– المجال الإعلامي:

أتصور أن له أهمية كبرى ولاسيما في هذا العصر في عصر التقنية في عصر المعلومات، فنحرص على المجال الإعلامي، ونستطيع أن نسهم في المجال الإعلامي من خلال الأمور التالية:

الأمر الأول: **التعريف بالحضارة الإسلامية وتاريخ المسلمين وتقوية الصلة بالشعوب المستهدفة،** فلا شك أننا بحاجة إلى أن نعرِّف بالحضارة الإسلامية، وبعظمة المسلمين وبعظمة تاريخهم، وأيضاً نحرص على تقوية الصلة بالشعوب الإسلامية المستهدفة من قبل التنصير.

الأمر الثاني: العناية بالدعوة من خلال البث الفضائي بلغات متعددة فلابد أن نحرص على الدعوة إلى الإسلام، أن نحرص على التعريف بالإسلام، أن نحرص على بيان محاسن الإسلام، أن نحرص على رد الشبهات والشكوك التي تثار حول الإسلام، من خلال البث الفضائي وليس فقط بلغة واحدة، بل بلغات متعددة ومختلفة، ولاسيما نحن في هذا العصر الذي انتشرت فيه اللغات وتعددت، فلابد أن نعتني بالدعوة من خلال البث الفضائي ليس فقط باللغة العربية وإنما باللغات الحية الأخرى المهمة.

الأمر الثالث: مساعدة وتأهيل المجتمعات المستهدفة إعلامياً ودعويا، فلابد أن نحرص على المجتمعات المستهدفة نستطيع أن نؤهلهم ونسهم في تأهيلهم تأهيلاً إعلامياً بحيث أنهم يستطيعون من خلال مواردهم المحدودة القيام بالعمل في المجال الإعلامي والاهتمام بالإسلام ونشره.

الأمر الرابع: دعم التأليف عن التنصير وجهود المنصِّرين من خلال دراسات مسحية وإحصاءات رقمية، فلابد أن ندعم التأليف الذي يبين التنصير ويبين خطورته ويبين جهود المنصِّرين من خلال دراسات مسحية، فنحن بحاجة إلى دراسات مسحية إلى إحصاءات رقمية تبين حجم التنصير تبين واقع التنصير في المناطق المختلفة.

لعلنا في نهاية هذه الحلقة نلخص ونوجز النقاط التي تحدثنا عنها في موضوع وسائل مواجهة التنصير:

النقطة الأولى: ذكرنا إحصائيات صدرت من منظمة التنصير العالمي، هي أحدث الإحصائيات التي توصلنا إليها صدرت عام ٢٠٠٢م، قبلها ذكرنا إحصائيات نقلناها عن الدكتور عبد الرحمن السميط تتحدث عن عدد المنصِّرين، تتحدث عن عناوين الكتب التنصيرية، تتحدث عن عدد المحطات والإذاعات التنصيرية، قلنا إن الهدف من ذكر هذه الإحصاءات بيان حجم الجهود التنصيرية المبذولة بحيث نستطيع نتحدث عن وسائل في حجم هذه الجهود المبذولة، وذكرنا أن التنصير لا نستطيع أن نواجهه إلا أن نعمل في مجالات متعددة ومختلفة في مواجهته، فنعمل في **المجال الدعوي** وأشرنا إلى ثمان نقاط فيما يتعلق بالمجال الدعوي، أيضاً أن نعمل في **المجال الصحي والاجتماعي** وذكرنا ثلاث نقاط فيما يتعلق بالمجال الصحي والاجتماعي، ثم تحدثنا بعد ذلك عن **المجال الإغاثي والإنساني** وبينا أهميته وذكرنا ثلاث نقاط فيما يتعلق بالمجال الإغاثي والإنساني، ثم تحدثنا عن **المجال التعليمي** وبينا أهمية التعليم وذكرنا مجموعة من النقاط فيما يتعلق بمواجهة التنصير في المجال التعليمي وذكرنا أربع نقاط، ختمنا حديثنا بالحديث عن **المجال الإعلامي** وأهميته، ولاسيما في هذا العصر، عصر التقنية والمعلومات المتجددة والمنتشرة والتي يسهل الحصول عليها، تحدثنا عن أربع نقاط فيما يتعلق بالمجال الإعلامي لمواجهة التنصير.

لا شك أننا بحاجة إلى العمل جميعاً كل فئة من فئات المجتمع سواء كان فئات الدعاة أو المثقفين أو العلماء وغيرهم، للعمل على مواجهة التنصير، فلا شك أن الحركة التنصيرية كما ذكرنا تشكل خطورة على المجتمعات تستخدم وسائل متنوعة ومتعددة، ولاسيما أنها تستغل وتفيد من الحاجة المنتشرة، وتفيد من الكوارث، وتفيد من الفقر، وتفيد من المجاعة التي توجد في عدد من البلدان، فلابد أن يكون برنامجنا في مواجهة التنصير برنامجاً متنوعاً متعدداً يشمل المجالات التي أشرنا إليها، في المجال الدعوي، المجال الصحي والاجتماعي، المجال الإغاثي والإنساني، المجال التعليمي، المجال الدعوي، وغيرها من المجالات الأخرى.

